فقط...
لَوْ أَنَّهَا تعودُ
THIS NOVEL HAS WRITTEN BY
B.J. Anfel

**لَوْ أَنَّهَا تَعُودُ**

**بِسمِ اللَّهِ تَوكَلتُ عَلىً اللَّهِ ولا - حَولَ ولاَ قُوةَ إِلاَ باللهِ. اللَهُمَ صَلِ وَسَلمِ وبارِك عَلىَ أَشرَفِ الخَلقِ سَيدِناَ ونبَينِاَ مُحَمَدٌ صَلىَ اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلمَ.**

● تُعجبني الأرواحّ الرَاقية، التِي تحترمُ ذاتَها وتحترمّ الغَير، تتحدثُ بعُمقٍ، تطلبُ بأدبٍ، تمزحُ بذوقٍ، تعتذرُ بصدقٍ وترحلُ بهدوءٍ.

-غَسَان كنفاني-

● أن تؤلفَ كتابًا، أَن يقتَنِيهِ غريبٌ، في مَدينَةٍ غَرِيبةٍ، أَن يَقرَأهُ لَيلاً وأن يَختَلجَ قَلبُه لسَطرٍ يشبِهُ حَياتَه، ذَلك هُوَ مَجدُ الكِتَابَة.

-يوسفُ ادريس-

توفيت اسرتي [امي، ابي، اختي، اخي] في حادث مرور اليم، ما اضطررت الى اللجوء لبيت جدتي لترعاني وتتكفل بي. أنا الان في ال 26سنة من عمري وانا أيضا في اخر سنة لي في الجامعة، ما اعلمه فقط انني ابذل ما فوق طاقتي من الجهد لكي احصل على درجات مرموقة وممتازة، ثم أؤمن شغلا يساعدني على عيش حياة رغيدة. أدرس وأدرس، فقط كي أصل في النهاية الى ما اريد، الحياة الفاخرة!

جدتي: «لقد تم اعداد الطاولة يا زينب، تعالي يا ابنتي- «لتتغذي ثم أكملي واجباتك

حاضرة-

هممت بسرعة نحو الطاولة فأنا اتضور جوعا كما انني لم اتناول شيئا منذ الصباح. انضممت إليهم فجلست بجانب جدي بحيث كانت جدتي تجاور خالي وزوجنه، واي زوجة تلك؟ بل أي ابن هو؟ لطالما حرضته على جدتي وانشبت بينهما العديد من الخلافات ومن ثم ملت منها وها هي تدور اليَ انا. المشكلة انني لا اعلم حتى بماذا تملا راسه عني؟ وأي نوع من السم يا ترى؟، الشيطانة المتخلفة!

بينما انا اتناول فطوري، إذا به ينظر الي بنظرات يعلوها الشر والحقد بدلا من ان ينظر الي نظرات دفء وحنان، انني ابنة اخته اليتيمة ولا يرأف بي حتى بل يستمر في جرحي وانتقادي في أصغر الأمور ويدقق في كل حركاتي حتى يجد تلك الخاطئة منها لينتهي بي الحال غارقة في بكائي ومن ثم الى المستشفى. إذا لبست اللون الازرق فانه

يصرخ علي ويأمرني بتبديله الى الأسود، وإذا ارتديت الأسود بفعل المثل.

تحدثت زوجة خالي: «أتعلمون؟، حقا الامر بدا يرهقني، ذوق المنزل لا يناسبني ولا يمكنني اكمال بقية حياتي في مثل هذا الجوِ، لا أستطيع الحراك ولا التكلم كما اريد والجميع يراقب حركاتي كافة كبيرها وصغيرها».

تحدثت في نفسي: «يا حبيبي! كل هذه التصرفات والحركات والتحريضات وانت مقيدة دون حراك في المنزل بحرية، ماذا ستفعلين يا ترى إذا أصبح لك منزلك الخاص؟ »

ردت جدتي: «إذا كنتي تريدين قصرا، فباب البيت المتواضع مفتوح، يمكنكم الاستئجار خارجا وهنيئا لكم، حياة حرة زهيدة ومنه تتخلصون من ضنك العيش هنا».

كتمت ضحكتي بعدما ردت جدتي بردها الصاعق ذاك، ثم قطعتها بعدما لمحت نظرات خالي نحوي فما كان لي الا ان اعود لعبوسي مجددا.

رد خالي مدافعا عن زوجته: «انت تظلمينها يا امي، هي لم تقصد شيئا سوى انها تتمنى ان تكون حرة في جميع تحركاتها، وكذا انا لم اعد اطيق وجود زينب بيننا!».

زعقت جدتي بغضب: «زينب حفيدتي الوحيدة وانا لن اتخلى عنها ابدا، ومن لم يعجبه قراري هذا فليتفضل بالخروج، الباب مفتوح للمرة الثانية»

نظرت الى جدتي بترج كي لا يبدا الجدال بينهما مجددا، وأكون في النهاية الضحية كالعادة. الحمد لله، صمتت جدتي، لكني اعلم جيدا ان زوبعة الغضب ما زالت تحرك كل عضو بداخلها.

الحمد لله شبعت، بالهناء والشفاء» اردفت بعد ان» -
لاحظت التوتر الشديد بين خالي وزوجته، صعقة كهربائية
. !ستصعقنا بعد قليل

ردت جدتي بابتسامة: «بالهناء والشفاء حفيدتي الجميلة،-
أكملي واجباتك بسرعة ولا تجهدي نفسك، اخلدي الى النوم
.«!بسرعة ولا تسهري

اقبلت نحو جدتي اقبل جبينها ثم نحو جدي، توجهت نحو
غرفتي أحاول انهاء واجباتي بأقصى سرعة كي اخلد الى
.النوم

ها قد انهيتها أخيرا!» اردفت بحماس» -

لقد كان عملا شاقا حقا، لكن ما عساي بفاعلة؟ إذا اردت ان
انعم بحياة فاخرة، ما على سوى ان أنهك نفسي فاقتلها
.بالدراسة واحل واجباتي كي لا تحل عليَ لعنة الرسوب

حلقت من الأرض نحو سريري، استلقيت وتنهدت بأريحية
وظللت احلم واحلم حتى انتفضت من مضجعي على صوت
الرعد الذي ارعد بالباب بدلا عن السماء، فتحته بسرعة،
فاذا بيد تكاد تهشم عظامي وتجرني نحو الأسفل. اوقفني
خالي مقابلة إياه وجها لوجه ثم صفعني صفعة قوية كادت
تفصل راسي عن رقبتي. هذه المرة لن اسكت ابدا! ليست
المرة الأولى ولا الثانية التي يضربني بها. لحقت بنا جدتي
.وعلامات الهلع والغضب بادية على وجهها

صرخ خالي في وجهي: «نت! الفتاة الحمقاء، اليتيمة دون-
عائلة، دون اي شيء، تأكلين وتشربين على حسابي
وتضايقيننا بوجودك هنا، يا مجرد عبءٍ ثقيل علينا. أ
.«تهينين زوجتي وتضايقينها؟، أ تقارنينها بك؟

رددت بقوة وصراخ: «ما دليلك على هذا؟ ما الذي يجعلني-
.«افعل هذا دون سبب؟

.«!رد خالي: «اصدقها، فهي ليس كاذبة مثلك-

ورفع يده كي يضربني مجددا، لكنني امسكتها ومنعته من ضربي، ومن دون وعي مني، رفعت يدي الأخرى وصفعته .على وجهه

لا اكذب عليكم! كدت اموت من الهلع بعدما رأيت الشرر يتطاير من عينيه، امسكني من شعري واخذ يضربني تحت صراخي وهتاف جدتي التي كانت تجذبني وتحاول ابعاده عني. أفلتني أخيرا وبصعوبة بالغة، ما ان وقفت على .قدماي حتى أغمي علي

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

## <u>الساعة ال-19:49</u>

نزلت من الطائرة بعدما اخذت اغراضي، بدأت اجول بنظري في كل الأطراف أشبع عيناي ببلدي الذي اشتقت له، ببلدي الذي لم ازره ل 4 سنوات. ليس بلدي فقط، والداي، اخوتي وكل عائلتي. من سيصدق الان انني عدت بعدما اقتنع الجميع انني لن اعود؟

قررت الحراك من مكاني متجها نحو منزلي بعدما رأيت السائق خاصتي يركن سيارته امامي، صعدت ثم توجه بي .بسرعة نحو البيت
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

عندما وصلت كانت جميع الانوار مضاءة ومن صخب الأجواء، تيقنت ان الجميع بالمنزل، قرعت الباب بخفة، لمحت الباب يفتح فاذا بأختي رقية تطل على براسها مبتسمة بإشراق كعادتها، اعتلت الدهشة محياها فاندفعت نحوي تعانقني وتمطرني بالتحيات مقبلة اياي. توجهت بي نحو الداخل وبعدما وقفت انتفض الجميع وكادوا يقطعون انفاسي بعناقهم. ابي وامي وأخي رامي سعيدون جدا لرؤيتي وانا كذلك. شرعت امي بالبكاء وهي تعاتبني على غيابي الطويل هذا وانا بقيت معانقا إياها دون أي كلمة حتى هدأت واعتلت الضحكة الرؤومة محياها من جديد فقبلتني ضامة اياي مجددا نحوها.

«أردف والدي: «هداك الله يا ولدي، ما هذا الغياب الطويل؟-

اتبع اخي رامي: «والله كنا نتحدث عنك الان، كيف تأتي- هكذا دون اخبارنا؟ دون سابق اتصال لكنا أقمنا عشاء جميلا لك».

لقد اتتني هذه الفكرة فجأة-

ردت امي: «الحمد لله انها اتتك في راسك، لو لم تفكر فيها- لما انت هنا الان».

كان الجميع سعيدا بعدما اجتمعنا كعائلة واحدة مجددا بعد فراق 4 سنوات دون عناق ام او حديت اب، ضحكة اخ/اخت او خلوة مع صديق.

فجأة! تشبث بي شيء خفيف الثقل فوق ظهري، استدرت فاذا بها ابنة اختي رقية، فرح التي تبلغ ال 5 سنوات من عمرها تعانقني بفرح وسرور. تماما كاسمها فرحة وبشوشة، اسم على مسمى! كان لقائي بهم فقط عن طريق

**اتصال فيديو قصير لا تعدى 15 دقيقة واظنها متعلقة بي !بحق**

**تبعتها ابنة اخي رامي، جودي والتي هي بنفس عمرها تعاندها وتفعل المثل. ابتسم والداي لعنادهما الذي انتهي بالشجار ومن ثم العقاب. صدقا! اختي رقية جيدة ولديها .خبرة عميقة في معاقبة الأطفال الصغار**

**رن الجرس ففتحت اختي رقية الباب، لقد كان زوجها حسام وأولا قبل ان أقول زوجها، كان على ان أقول صديقي المقرب والوحيد، رفيق دربي، سندي في مختلف اوقاتي ومنقذي من عثرات الحياة ومن ضيق المشاعر. تعانقنا عناقا حميما ثم جلس الى جانبي يوبخني، كالعادة ومازال على عادته لم يتغير ابدا وخفيف الروح، بشوش الوجه وكثير المزاح وفكاهي، ذو قلب حنون وعطوف والكثير، عكسي تماما، بارد برود الثلج، قاس، قليل المزاح بل منعدم .تماما**

**افقت من شرودي على صوته الذي دوى بأذني: «ولن- .»....يتزوج**

**نعم ماذا؟-**

**الن تتزوج بعد يا عازب؟ الى متى ستبقى هكذا؟» أردف» - حسام**

**رددت: «وهل ازعجتك مثلا؟ سأبقى كل حياتي عازبا، ما- «رأيك؟**

**استسعت اعين الجميع واخذوا يقهقهون على ردي، ثم .«اتبعت امي: «هداك الله يا ولدي، هداك الله يا فؤاد**

**امين يا امي، امين-**

**ثم استقمت مخبرا إياهم انني ذاهب لأداء صلاة العشاء، صلينا جماعة ثم تناولنا عشاءنا فرُحتُ أغط في نوم عميقٍ.**

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

»لن تشفى من حالتها هذه!», اردف الطبيب يخاطب جدتي , اغرورقت عيناها بالدموع واخذت تبكي , اما انا فلم اكن متفاجئة , اعلم منذ البداية ان حظي تعيس , كنت اعلم ان حظي لن يكون كسندريلا التي فقدت فردة حذائها وراحت فرصتها في الزواج من الأمير لكنه وجدها و تزوجته , لن يكون كسنوايت–بياض الثلج-التي اختنقت بقطعة التفاح المسمومة لكنها استيقظت و عاشت حياة سعيدة منتقمة من زوجة والدها الشريرة , لن يكون كريبانزل ذات الشعر الذهبي التي سرقت من والديها لكنها عادت وبعد سنوات عديدة اليهما ,الى دفئهما , لن يكون كالأميرة النائمة التي غطت في سبات عميق بسبب وخزة ابرة واستيقظت بعدها بمجرد قبلة تافهة , مجرد خرافة في خرافة !ماذا عني انا؟ اين هي قصتي من بين هذه القصص؟ لم أصب بوخز فقط، لم اتعرض لأي اذى بسيط، لقد تعرضت للعنف معنويا وجسديا، شوِه جسدي بالضرب وشوه قلبي بالكلام الجارح ومررت بالعديد من المواقف الصعبة، ولا اعلم حتى كيف ما زلت هنا؟ اتواجد بينهم كالحمقاء!

عانقتني جدتي وانا بقيت اهدئها وأقنعها ان هذا قضائي وقدري وما على الا ان أرضي به.

بعد فعلت خالي الأخيرة، قررت ومن أعماق قلبي عدم البقاء في ذلك البيت. مهلا! ليس بهذه السهولة. سأتخرج بعد شهرين من الان، يجب ان أكون قوية، يجب ان ابذل قصارى جهدي لا تخرج بمعدل ممتاز وأُقبل للعمل كمديرة
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

**مالية في احدى الشركات الفاخرة وبالتالي سأتمكن من توفير سبل معيشتي. نعم، دعوني احلم. سأشتري منزلا كبيرا، لا بل شقة جميلة بعيدا عن منزل جدتي، وسأزورها يوميا سأشتري سيارة باهضه الثمن. لن اري ضعفي لأي أحد كان بعد الان، سأكون انثى بقلب طفل برئ وعقل رجل قاس! لن احتاج لمساعدة او شفقة او مساعدة أي أحد بعد الان، سأحقق كل احلامي واحدا تلو الاخر، سأزور العديد من البلدان الجميلة، سأطمح لأكون الأفضل دائما، سأجعل الجميع يتقبلني وكما قلت كفتاة انثوية بقلب طفل برئ وعقل اَ رجل قاس**

**~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~**

## بعد شهرين

**اليوم، سنقيم حفلة كبيرة في الشركة، سنستقبل العديد من الطلاب المتخرجين حديث لعلنا نجد شخصا او أشخاصا لهم كفاءات عالية ويستحقون التوظيف هنا. نسيت ان اخبركم، شركتنا من أفضل أوائل الشركات في العالم ولنا العديد من الشركات في مختلف بلدان العالم:**

**اليابان، أمريكا، نيويورك، المانيا وكوريا الجنوبية أينما كنت متواجدا في السنوات الأربع الماضية. وهي شركة ناجحة ومتطورة ويطمح الكثير للعمل بها والتشارك معنا.**

**تأكدت ان جميع التحضيرات تمت كما اريدها، سيتم حضور العديد من مدراء الشركات ومدراء الاعمال رجالا ونساء منهم، كبارا وصغارا.**

**~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~**

بعدما علمت بخبر نجاحي في الجامعة بمعدل ممتاز ,كدت اموت من الفرح و غمرت قلب جدتي بالفرح أيضا , حققت حلمي الأول و الحمد لله , و بعدما كرمت بالجامعة فزت بالمرتبة الثانية و حصلت على هديتين جميلتين من بينهما هدية احسست انها فتحت طريقي لمعيشة رغيدة , لقد كانت عبارة عن دعوة لحضور حفل في شركة فاخرة .انه حفل كبير سيحضر فيه العديد من المدراء و الموظفين العاليين في المرتبة , الثريين , اللذين حققوا احلامهم و وصلوا الى الحياة الفاخرة .اقنعت جدتي بفكرة الذهاب بعما رفض خالي بحجة اكتظاظ المكان بالرجال .لكن جدتي منعته من التدخل . في شؤوني

ارتديت حجابا فضفاضا واسعا، طويلا اسود اللون، وخمارا بنيا طويلا يصل الى نهاية عمودي الفقري مع حذاء رياضي ليس بالعالي ولا بالمسطح. حملت حقيبتي السوداء الصغيرة بعدما وضعت دعوتي فيها. ودعت جدتي ثم هممت بالخروج. اظن ان الساعة كانت حوالي الخامسة والعشرون .مساء

التقينا انا وصديقاتي امام مدخل الشركة الذي كان يعم بالحاضرين فدخلنا نحن أيضا. القى المدير او لنقل رئيس الشركة العام خطابا جميلا، مختصرا، وجيها، لا مقدمات ولا زيادات. كانت جميع الفتيات معجبات به، تتحدثن باسمه، تصفنه وتصف جاذبيته ووسامته. لقد كان شابا طويلا، ذو شعر حريري اسود وعينان زرقاوان براقتان، ليست بالداكنة ولا بالفاتحة، بشرة ليست بالبيضاء ولا بالسمراء. !جذب جميع الفتيات الا انا ؟!. لم يعجبني ولن يعجبني

انتهى الخطاب وانتهى معه أخيرا الثناء والمديح للمدير فؤاد، وها قد حان وقت المتعة. اخذ الجميع يجوب المكان

ويتناول ما يشتهي من حلويات ومعجنات، بالنسبة لي، اكتفيت بكوب من العصير الذي سيسبب لي كارثة بعد قليل!

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

بعدما انهيت القاء الخطاب ٬ توجهت انا وحسام نحو مكان هادئ لا يحتوي على هذا الكم الهائل من الضجيج لأنني امقت هذه التجمعات.

بمناسبة هذا الحفل، ارتديت قميصا ابيض اللون، ملائما تماما مع جسمي الرياضي، إضافة الى سروال اسود اللون لم يكن بالعريض ولا بالمشدود، مناسب لي تماما –مغرور-.

وما ان اقتربنا نحو تلك الطاولة الوحيدة، المركونة في الهدوء والسكينة، إذا بي أحس بشيء بارد يلامس ظهري وبل بلله، اخفض حرارة الضجيج التي سيطرت على منذ بداية الحفلة، لكن ...؟ كارثة !!؟ انه العصير!

تحول قميصي الأبيض الى اللون البرتقالي، رائحتي الزكية طارت، ها انا ذا افوح برائحة البرتقال، أصبحت برتقالة، شكلا، لونا ورائحة.

استدرت الى الوراء فاذا بي أرى فتاة، لا بل ثلاث فتيات متفاجئات تماما، وما ان تعرفن علي حتى تسمرت اقدامهن على الأرض ولم يقدروا على الحراك. وكانت احداهن تحمل الكاس فارغا، مقلوبا بيدها، لقد كانت فتاة متحجبة وترتدي حجابا بهيا طويلا، لا يليق بها المقاس على ما اظن! كانت فتاة عادية الجمال، ذا بشرة بيضاء تحط عليها بعض الحبوب والبثور الصغيرة، ذات عينان بنيتان واسعتان ٬ بل جذابتان!
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

اردفت: «انت عمياء ام ماذا؟ أ لديك عينان من الامام ام من-
.«الخلف؟

:طأطأت الفتاة راسها بخجل ثم ردت

.«انا اعتذر. لقد تعثرت على حجابي، انه...طويل جدا» -

وما شأني بك، كان عليك منذ البداية ان ترتدي ملابس» -
.«!بحجمك، عقلة الاصبح انت

مهلا!؟لحظة! ما الذي قلته لها للتو؟ عقلة الاصبع. رفعت ناظريها نحوي ونظرات الغضب بادية على وجهها، نظرات !قوية لكنها بريئة، بل هي الاجمل

«اعتذر مجددا، لن اكررها، سأنتبه في المرة القادمة» -

رددت بهدوء: «من حسن حظك ان المكان خال هنا والا-
.«فإنني لن اتركك تذهبين هكذا

صمتتُ برهة بعدما ناظرت حارسي الشخصي وحسام ثم :اتبعت

.«أتمنى ان لا تكرريها مجددا، يمكنك الذهاب» -

رفعت راسها أخيرا ومن دون نظرة أخرى، فرت هاربة الى .الجهة المعاكسة لنا

ومن دون سيطرتي، طلبت من حارسي الشخصي البحث عن جميع معلوماتها الشخصية، واسرعت الى تغيير ملابسي قبل ان يراني أحد اخر هكذا. ظل حسام يبتسم لي بمكر وبقلة حيلة، واظنه تفهم الوضع. نعم! انه فيلسوف في .مثل هذه المواضيع

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

كنت امشي مشيا عاديا وخطوات عادية، ليست بالسريعة ولا بالبطيئة حتى تعثرت بحجابي الطويل ومن حسن حظي لم أقع ارضا، لكن؟ لقد سكب الكأس احزروا على من؟ انه المدير فؤاد !؟كارثة

كنت اموت من صوت صراخه الأول لكني تشجعت وظللت اعتذر، لكن لحظه؟ لقد سخر مني لقد نعتني بعقلة الأصبع هل انا حقا قصيره ألم يكن من اللازم اساسا ان يكون بصفته زرافة، نخلة، عمود كهرباء، لا. لقد وجدت المثل، صاحب .الظل الطويل! لا يستحقه لكن لا بأس، نحن متعادلين الآن

سمح لي بالذهاب بصعوبة اوشكت على الموت من نظراته الثاقبة تلك! ليس وسيما ابدا. انه يبدو كالوحش عندما يغضب، هذه غلطة صغيرة! فما بالي بغلطه كبيرة؟

هممت بالهرب بعدما سمح لي بالذهاب، واتجهت نحو الصالة الكبيرة جلست على أحد الكراسي وانا اتنفس بصعوبة اظن انها حالتي النفسية وليس هذا هو وقتها ابدا! سكبت كوبا من الماء ثم شربت دوائي فعدت مجددا الى كرسي انتظر قدوم أحد صديقاتي، لكن لم أستطيع التحمل أكثر لأنني اشعر بالاختناق، برغبة في البكاء المفاجئ، .فقررت المغادرة

زينب، زينب...»، سمعت صوت فتاة مألوف يهتف» - باسمي وهو يقترب شيئا فشيئا، استقمت ثم استدرت، لقد كانت صديقتي سارة، لم أرد اظهار ضعفي امامها لكنني فشلت، تحطمت! سلمتها ملف عملي لتقدمه بدلا عني فتفهمتني، سرعان ما لمحت المدير المتعجرف ذاك، صاحب الظل الطويل مع أحد المدراء واظنه على وشك الخروج،

فاعتذرت من سارة وهممت بالخروج قبله، فلربما يمسك بي ويعاقبني مجددا!

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

بعد يوم شاق، لا بل 13 ساعة، عدت الى المنزل أخيرا، اخذت حماما دافئا ثم توضأت، اويت الى سريري في غرفتي فتناولت فرقاني وها انا ذا اراجع حفظي واتلو البعض منتظرا اذان صلاة المغرب.

اديت صلاة المغرب ومن بعده العشاء في المسجد، وبعدما عدت الى المنزل، هممت الى غرفتي ورحت احلم بنوم عميق كما كنت اظن، لكني وياء للمفاجأة!، سهرت ليلا كاملا أيضا ولم اخلد الى النوم، ولو غفوة صغيرة، هذا كله بسبب عقلة الاصبع، تلك الذبابة المزعجة.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

أوقفت سيارة اجرة ورجعت الى المنزل، استقبلتني جدتي بابتسامة لكنها سرعان ما تلاشت بعد رؤيتها لحالتي تلك. جلست في الصالون فأنهرت كليا، فقد كنت في حالة يرثى لها، ابكي بشدة اشهق واختنق وادور على نفسي، لا أستطيع التنفس، صداع شديد، الم شديد في بطني ... هذه الحالة تأتيني فجأة، ترهق جسمي، تتعب قلبي وتحطم نفسيتي، أتمنى من بعدها ان اموت، ان اتخلص من عناء هذه الحياة وهذا العبء وهذه القسوة، من هذا الذل، من كل شيء!

هدأت أخيرا، كان الجميع جالسا في الصالون عدا خالي الذي لم يعد الى المنزل بعد، يكفيني الان ان زوجته ترمقني

بازدراء، بسخرية، بانتقام، لم أستطع فعل شيء سوى انني صليت صلاتي وخلدت الى النوم.

## الساعة 6:23 صباحا

استيقظت صبيحة اليوم وانا بحالة مزرية، اشفقت على حالتي من بعدها، وقع ناظري من بعدها على المرأة فتفاجأت من مظهري، عيناي الحمراوان والمتورمان من البكاء، وجهي الشاحب المصفر، علامات غريبة بادية على وجهي، استقمت من مكاني متوجهة نحو الحمام وقمت بروتيني المعتاد لكن هذه المرة بتكاسل ة عدت الى غرفتي، اديت فريضتي وذهبت الى جدتي الى المطبخ، ابتسمت لي بعفوية تحاول التخفيف عني فرددتها لها. سرعان ما رن هاتفي:

« عفوا ... هل معي الانسة زينب شاكر؟» -

نعم ...تفضل-

انا سكرتير المدير العام من شركة ***، تم قبولك في- شركتنا كمديرة مالية، يمكنك ان تمري لاحقا للمناقشة لكن من فضلك لا تطيلي.

حسنا ... شكرا جزيلا-.

نهضت من كرسيي بحماس بعدما كان يؤرقني وهجمت على جدتي معانقة إياها بشدة، اما هي فكانت تحاول استيعاب ما يحدث فقط وزوجة خالي تناظرنا باستغراب

«جدتي: «ماذا يحدث يا زينب، افرحيني معك-

لقد تم قبولي في الشركة كمديرة مالية، انا سعيدة جدا-.

ردت جدتي بفرح وسرور: «الحمد لله يا حفيدتي الجميلة، - سهّل الله عليك مشاق الحياة».

قاطعنا صوت ارتطام شيء بالطاولة، لم نفهم شيئا سوى اننا لمحنا زوجة خالي الغيورة تدخل الى غرفتها وتغلق الباب بقوة، نظرت لجدتي مجددا وتعانقنا عناقا اخر أيضا.

وبينما كنا جميعنا جلوس على مائدة الفطور، حتى سمعت خالي يكلمني:

«خالي: «تم قبولك في العمل إذا !؟-

نعم، سأمر على الشركة فيما بعد حتى نساوي بعض- الشؤون.

«خالي: «وما هذه الشؤون؟-

ارتبكت قليلا ثم قلت بثقة لم اتظاهر بها: «الراتب الشهري، وربما سأحظى بمقابلة عمل هناك».

صمت من بعدها وصمتت انا أيضا بعدما أنهينا فطورنا، هممت لمساعدة جدتي في بعض الاعمال المنزلية، انهيناها بسرعة ثم اسرعت في الاستعداد للخروج.

دخلت الى الشركة فاستقبلني سكرتير المدير التنفيذي –حسام-، فأقلنني الى مكتبه، ألقيت السلام ثم جلست بعدما اذن لي، وطرح على العديد من الأسئلة، واخيرا أخبرني أنى مقبولة رسميا في العمل.

فرحت لذلك كثيرا وخرجت متجهة نحو المنزل مجددا، هذه هي حياتي، كانت رسميا من المنزل الى الجامعة اما الان فهي من الشركة الى المنزل والعكس، نعم! لقد حدث فرق كبير الان، امل ان يكون نقطة لتحول وتطور حسن وأفضل.

السلام عليكم يا جدتي، لقد عدت». هتفت بها بعدما عدت» - الى المنزل.

جدتي: "هلا بك صغيرتي، تعالي لتتناولي فطورك، لقد- حضرت لك السباجيتي».

ابتهجت بعدما سمعت كلمة –السباجيتي –فانا من عشاق المعجنات على الرغم من انني فتاة متوسطة الحجم.

شكرا جزيلا لك يا جدتي العزيزة، انت هي الأفضل!-

توجهت الى غرفتي لأبدل ملابسي، وتفاجأت من عدم وجود زوجة خالي تلك في المنزل، لقد احسست بهذا منذ ان دخلت الى المنزل قبل قليل، احسُ بالسكينة تعم المنزل، أحس ان الشياطين رحلت الان، نعم! لقد ذهبت معها ولا اعلم الى اين؟ فلربما ستشتاق لها ان فارقتها يوما. لا علينا.

غيرت ملابسي وعدت مجددا لالتهم السباجيتي، حُسِمَ الامر! سأتناول القدر كاملا!

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

## بعد 5 أشهر

انا الان في رحلة عمل هامة في نيويورك، وقد قررت قرار لا رجعة فيه وفور عودتي الى بلدي اليوم، سأصرح لوالدي برغبتي في خطبة المديرة المالية الانسة زينب، اظنها الفتاة الأنسب لي، فتاة مميزة، متخلِقة، محجبة، ملتزمة ومتدينة. لم أتوقع يوما انني ساجد فتاة كتلك، لا، بل لم أكن أفكر في ذلك اطلاقا، فانا مجرد ربوت مبرمج، استيقظ دائما فجرا لأقوم بتأدية صلاة الفجر في المسجد ثم اتلو بعضا من القران الكريم وفور عودتي للمنزل أغط في نومي من جديد.
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

بعدها استيقظ على السادسة و النصف تقريبا كل يوم , ارتدي ملابسي بعد روتيني اليومي , أحيانا اتناول فطوري و احيانا لا و بعدها مباشرة الي العمل , عمل وعمل , اجتهاد و تركيز و إصرار في تحقيق الأفضل و بين ك هذا بالتأكيد لا انسى صلواتي .ثم على الساعة الخامسة مساء اغادر الشركة متجها نحو المنزل من بعده الى صالة الرياضة من بعدها الى المسجد ثم الى المنزل مرة أخرى ' اتناول عشاءي ثم شبه حديث مع عائلتي , اكتفي بالجلوس و الاستماع الى مختلف المواضيع , اصلي صلاتي الأخيرة ثم مباشرة الى غرفتي .اتناول فرقاني اقرا و اتدبر , ثم اقرا اذكاري و من ببعدها اخلد الى النوم –ملخص يومي - . لكن هذه المرة! هذه الفتاة بالضبط! مستعد لفعل المستحيل من اجلها , من اجل ان تقبل , من اجل ان استرجع راحتي و اطمئناني , بل ان شاء الله من اجل حياة افضل و اجمل معها, بجانبها .يجب ان اخذ هذا القرار على محمل الجد قبل ان يسبقني احدهم اليها , فيسرق زنوبتي اميرة زماني مني , و يصير قلبي رمادا هشيما من فرط الشوق و الحنين , الندم , الفقدان و كل شيء , فيسبب لقلبي شوقا لا واو فيه ,و يسيل منه ندما لا نون فيه , فتفر الطاء من الفرط ذاك فأعود وحيدا مجددا .وحيدا وحيد القمر في السماء , اذا سقطت القافين من القلب القمر , سيختفي ضوء الامل و ابقى اتخبط في العالم الذي لا عين فيه .اريد ان أكون رجلا جامدا لا ميم فيه , اريد حربا عميقا , انيقا لا راء فيه , اريد ان يكون قلبي صباحا مشرقا من جديد لا ظلام يسود اركانه . حياة زهيدة، هنيئة، برضىً من الله سبحانه وتعالى، على سيرته، على طاعته، على رضاه، على دينه وعلى حبه.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

**استيقظت صبيحة اليوم وانا جد متعبة من العمل، لقد سهرت لوقت متأخر جدا من اجل اكمال مشروعي وأوراق العمل الخاصة بالشركة، نهضت بتثاقل نحو الحمام مباشرة لأني لا اريد رؤية شكلي وهندامي الحالي، صدقا! انا اشبه الساحرات!**

**قمت بروتيني العادي ثم توجهت نحو المطبخ، وجدت خالي وزوجته وجدي متجمعون على طاولة الفطور، وجدتي تضع الاطباق على الطاولة.**

**صباح الخير جميعا-**

**صباح النور-**

**بقيت واقفة لمدة ثم جلست بعد ان سمعت الجميع يرحب بي، حتى خالي! يا سلام! الأمور ليست تمام! لا اكذب على نفسي، يخفون شيئا عني، وبالتأكيد هو سعيد، جدتي متفاهمة مع خالي أيضا اليوم، يا ترى ما هو؟ وهل سأكون سعيدة مثلهم ؟!**

**خالي: «زينب، اريد التحدث معك في موضوع مهم عشية- اليوم».**

**كما تريد يا خالي، لكنني سأتأخر قليلا في العودة الى- المنزل لأنه طرأ لي عمل عاجل.**

**على راحتك، متى ما جئت، سوف نتحدث-.**

**الأمور تبدو غريبة جدا وهل هذا هو خالي الذي كان يرمقني بنظراته الحادة والقاسية؟، هل هو الان يقول لي –على راحتك-، هل يناديني باسمي؟ انا سعيدة جدا لكن فعلا الامر غريب جدا!**

ودعتهم بعد انهائي لفطوري ثم خرجت متجهة نحو الشركة، تعرفت منذ مدة ليست بالقصيرة على اخت السيد فؤاد، رقية، انها فتاة لطيفة جدا وفكاهية. أصبحنا صديقتين حميمتين، انها كالأخت تماما، مؤنسة لي في جميع الأوقات ومشجعتي على جميع القرارات، انها فعلا أفضل من أي شخص اخر وكم أحبها!

وصلت أخيرا، صعدت الى مكتبي في الأعلى بحيث يوجد 3 مكاتب: مكتبي انا المديرة المالية، مكتب رقية التي تعمل كمترجمة للغة الفرنسية ومكتب حسام –المدير التنفيذي-وهو زوج رقية. ما ان طرقت مكتب السيد حسام حتى هرولت رقية مسرعة نحوي ضامة اياي بقوة، اوشكت على الوقوع لولا أنى امسكت بالباب. اجتمعنا ثلاثتنا نتحدث في مواضيع عشوائية وفي نفس الوقت تركيزنا على العمل. حتى وجدت نفسي أحدث رقية عن غرابة عائلتي صبيحة هذا اليوم.

لم افهم السبب، خالية ولأول مرة مذ مات والداي واخوتي- رحمهم الله يعاملني بهذا اللطف والاهتمام، وهذا لا يقنعني ابدا!

غريب، إذا اسمعي نصيحتي فقط.

-زوجتي فيلسوفة وأستاذة في علم النفس –بسخرية مرحة-

اغلق فمك والا انت أدرى بما سيحدث لك.

ضحكت بخفة على مشاجرتهما اللطيفة، لا بل المشاكسة ثم تابعة رقية:

احذري منه، لربما يكيد مكيدة وستكونين انت» - ضحيتها».

كيف، لم افهم؟ كيف أكون انا ضحيتها؟ وأي مكيدة هي-
!هذه؟ انت تخيفينني

.لا أدرى لكن توخي حذرك-

:صمتت برهة ثم اردفت

... معك حق، ستكون عيناي هاتين على كل كبيرة وصغيرة-

لم أكمل كلامي، اذ قاطعتني رقية مهرولة نحو الباب الذي كنت اجلس في الجهة المعاكسة له، استدرت بعدما لمحت
!السيد حسام يبتسم بفرح فاتحا ذراعه، لقد عاد السيد فؤاد؟

انضم الينا بعدها ونحن نعمل، لكنه اكتفى بالحديث مع رقية وحسام، اما انا فلم اتجرأ حتى ولم افتح فمي، فأنا وهو لا نتفاهم ابدا ول هذا منذ حادثة العصير، لم يؤذني ابدا، لكن
.اظن انني ما زلت تحت تأثير الاحراج

«رقية: «ابتلع القط لسانك، اليس كذلك؟-

نظرت لها بتذمر وعتاب بعدما قالته لي ثم اتبع حسام
:مشاكسا

«!حسام: «مشكلتها مع فؤاد، تراه وحشا ربما ؟-

اتسعت عيناي من الصدمة واحمر وجهي، ثم انتفضت من
: !مكاني، ابتسمت بغباء، صدقا! بدوت كحمقاء

.اعتذر، يجب عليَ انهاء عملي-

«رقية بمزاح ماكر: «انهيه إذا، ماذا يزعجك؟-

أ ...أقصد في مكتبي، سأكون أكثر راحة-

ضحكت رقية وحسام اما السيد فؤاد فظل يحملق فيَ بنظرات لا مغزى منها، ثم قهقه بخفة، احمر وجهي بشدة، كتفت يداي وادرت وجهي للجهة المعاكسة فأعدت نظري مجددا الى رقية التي استقامت من مكانها نحوي:

رقية: «لا تزعلي، والله كنت اظن أنك معقدة، لكن اتضح- أنك مدللة يا زينب».

رددت بصوت عال: «كفى يا رقية! هذا الكلام يزعجني- بشدة، لن اسمح لك او لأي شخص اخر بالسخرية مني».

«ردت رقية برفق: «حسنا، لا تغضبي مني، انا اعتذر حقا-

كانت الأجواء مرتبكة قليلا، بل معقدة. اخطأت بمبادرتي بالصراخ لكني كنت خائفة، حائرة، قلقة من كل شيء، اشعر الان بقوى الانضغاط وهي تطبق على رأسي، لن تشكل طيات بالتأكيد، بل فالقا يؤدي بي نحو الهاوية، الى نهاية لا بداية لها، الى حالة عسيرة لا أستطيع ان أشفي منها الا بعد أيام من عناء، الام، واهات، الا بعد ان ...أصبح مثيرة للشفقة تحت انظار الجميع، وهذا بالفعل ما اريد تجنبه.

خطوت بخطوات قصيرة نحو الخارج بعدما رفعت أوراقي من على الطاولة، عدت ادراجي الى مكتبي فوضعت عليه ما كنت احمله، اعتذرت برسالة نصية في الهاتف لرقية ثم انصرفت نحو المنزل.

## بعد 30دقيقة قريبا

جلست في الصالون بعد ان كان الجميع مجتمعا هناك، ظللت اجول بناظري في وجوه العائلة انتظر ان يتفوه أحدهم بايِ كلمة، لكن استبقت الاحداث وياء ليتني لم افعل!

.خالي، اخبرتني أنك تريد الحديث معي في موضوع ما-

خالي: «تعلمين يا زينب، انت الان فتاة شابة تبارك- الرحمان، وستبلغين ال 26 سنة بعد ساعات قليلة، اليس «كذلك؟

ضحكت بخفة ثم رددت: «ربما انا أفقد ذاكرتي، لم أتذكر حتى عيد ميلادي، بل لا اعلم حتى ما هو تاريخ اليوم». وظللت اناظر السقف بتركيز

خالي: «لا يهم ما تفكرين به الان، اريد التحدث معك- .«بجدية، ركزي معي لا مع السقف

...حسنا-

خالي: «في العديد من المرات واثناء حديثك اتفهم أنك- تريدين عيش حياة فاخرة، تريدين الراحة، المال، السفر، «تريد الطمأنينة، اليس كذلك؟

«رددت بحماس: «بالتأكيد-

خالي: «استمعي جيدا، بالأمس وبينما انا في العمل، تحدث- «معي صديقي بشأنك، انه يريد الزواج منك

اتسعت عيناي من الذهول واستقمت من مكاني بدون وعي، كنت متماسكة جدا، لكن خشيت ان أقع في مصيبة، لذا عدت :الى مضجعي مجددا ثم قلت بنبرة قوية واثقة

اسفة خالي، انا لا اقبل-

خالي بحدة: «لم أكمل، ضياء، عمره 46سنة، يعمل كمدير- لأحدى الفنادق، حتى وانه يملك فندقا ضخما في أمريكا «-و.-لم يكمل

اعتذر مجددا، لن اقبل، انا لا اريد هذا الزواج-

«خالي: «انا لم اسالك، انا سأفعل ما يجب فعله-

ظل الجميع يحدق بنا بينما انا ما زلت تحت تأثير الصدمة فرددت بقوة لم أكن اتظاهر بل اتحداه بها:

كيف؟ كيف يا خالي؟ لماذا تفعل هذا بي؟ انا لن اقبل! لا- اقبل ابدا! انه يكبرني ب 20سنة، انه في مثل عمرك تماما، لن افعلها ابدا! لن أدمر حياتي بيدي وانا هي الفتاة الثمينة !التي تسعى خلف احلامها وحياتها

خالي بصراخ: «لن اكرر كلامي مجددا، نعم يعني نعم، وانا- .«الذي اقرر، عندما اقول تتزوجيه يعني تتزوجيه

رددت بانفعال وهستيرية: «ابدا، ابدا! لن اقبل، سأرفض،- ولو اضطررت الى قتلك أيها القذر، انت لست خالي، لم تكن ولن تكون، ظننت صباحا أنك تغيرت ولكنك الان تثبت لي العكس، تبا لي ولظنوني، تبا لك أيها الغدار الماكر، الطماع، انت جشع، انا اعلم أنك تكيد مكيدة لي. لت تفعل بي ما يحلو لك حتى لو اضطررت للهرب. نعم، سأهرب حتى لو كان ذلك يوم زفافي، سأجعلك اضحوكة امام الناس يا عديم القيمة، يا عديم الشرف، انت لست رجلا، انت لست رجلا ابدا أيها «!الديوث

انقض على الطاولة يحطمها ثم اليَ كالعادة، هرول جدي وجدتي لإمساكه لكنهما لم يفلحا، ابرحني ضربا ثم امسك بي من شعري يجرني نحو غرفتي، اغلق الباب بالمفتاح ولم يكن سوانا نحن الاثنان في الغرفة. رفقا بك يا قلبي، رفقا بي! تكاد تحطم أضلعي من قوة نبضك. كرب قلبي على التوقف من الهلع، لا أستطيع التنفس، اشعر بالصداع

**مجددا، الم يعصر معدتي بل يمزقها قطعا قطعا، كنت اعلم ان هذه الكارثة الطبيعية الاشبه بالزلزال ستحل على راسي وستصاب قشرتي المخية بدلا عن القشرة الأرضية، سأفقد من بعدها كل شيء، حركتي الارادية واللاإرادية واحساسي الواعي –الحواس الخمسة -، وسأكون ميتة في جمع حالاتي**

**ظل واقفا امامي وهو يناظرني بحدة وقسوة لم يتصل الى هنا من قبل قط، لم تصل الى هذا الحد، ما زلت على حالتي المزرية، حالتي النفسية المقززة، كما تبدو في نظرهم، بقيت انادي على جدي وجدتي اللذان كانا واقفان امام الباب .يطرقانه ويأمران خالي بفتحه**

**«خالي: «اذهبا، سأتحدث معها بروية-**

**صرخت عليه بتقطع: «ايُ روية ... روية هذه بعدما ... فعلته لي ... انظر اليَ!».**

**رددت عليه وانفاسي تنقطع تارة ثم تعود تارة أخرى بينما اشير بكفاي الى يداي وجسمي المحمران من الضرب. امسكني بقوة من معصمي واوقفني على قدماي، ظل يناظرني بهدوء بينما اخفيت وجهي بين كفاي خوفا منه.**

**-خالي: «لن اكرر كلامي وستقبلين، ستعتادين الامر مع مرور الوقت، وإذا تجرأت على الرفض، سأمنعك عن الشركة والخارج والأصدقاء وكل شيء وستبقين معزولة هنا داخل المنزل، ربما ازوجك رغما عنك وربما ... اقتلك!»**

**-ارجوك، انا اتوسل اليك، لا تفعل هذا بي، لا اريد، لا اريد الزواج من هذا الرجل، اريد شخصا اخر لائقا بي، ان بمثابة والدي، كيف يمكن ذلك، لن اعتاد على الامر ابدا!**

-خالي: «فكري جيدا، لديك خياران لا ثالث لهما»

-لن اقبل ابدا، ولن تمنعني من حياتي، سأشتكي بك وستمضي ما تبقى من حياتك كله في السجن، ستتعفن هناك، ستتمنى الموت على البقاء اسيرا بين أربعة جدران، سو ف ......!»

صفعة قوية حطت على وجهي مجددا، اخذ يركلني ويضربني، لكن هذه المرة، انتهى المر بي هاوية على الأرض.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

الجدة

فتح الباب أخيرا بعدما كنت واقفة قرب باب المطبخ، لمحته خارجا من هناك فهرولت الى الداخل لكن، لسوء الحظ وجدت زينب ساقطة على الأرض في حالة مزرية، استنجدت بجدها وأسرعنا بنقلها الى المستشفى.

بقيت في قسم الاستعجالات قرابة الساعتين. سرعان ما لمحت الطبيب متجها نحونا:

-الطبيب: «سيدتي، الفتاة تحت ضغط نفسي كبير، واحتمال اصابتها بالاكتئاب الحاد او حتى بقاؤها في مستشفى الامراض العقلية لمدة طويلة كبير جدا، لذا من اللازم عليكم مسايرتها والتخفيف عنها، ستبقى هنا لمدة اسوع حتى تستعيد عافيتها وتشفى كدماتها .... وأيضا ستصل الشرطة الى هنا قريبا»

بقيت أفكر وفي نفس الوقت مشتتة، حتى رأيت الشرطة تدخل الى غرفتها لاستجوابها، لن اتدخل، فمن حقها ان تشتكي به بعدما فعله بها، شردت حتى خرجوا مرة أخرى وبقي اثنان منهما يحرسان الباب حماية لها من العنف الذي قد تتعرض له لاحقا.
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

حل الصباح بصعوبة بالغة ثم انقضى مرة أخرى وحل محله الليل بسواد سمائه الواسعة والمرتفعة. سبحان من خلق هذه السماء! ظللت انظر الى السماء حتى مرت فترة ليست بالقصيرة فاذا بهاتف زينب يرن، لم اشأ الرد عليه، لكن الرنين دام لمدة طويلة جدا، فرددت:

-السلام عليكم، نعم من معي؟

-رقية: «السلام عليكم خالتي، انا رقية صديقة زينب في العمل، اعتذر على هذا الاتصال في وقت متأخر من الليل، لكننا قلقنا عليها لأنها لم تأتي اليوم للعمل، لذلك اردت الاطمئنان عليها، هل يمكنني التكلم معها؟»

-جزاك الله خيرا يا بنيتي، لكن ... لا يمكنك التحدث معها الان

-رقية بتوجس: «خيرا يا خالتي؟»

-في الحقيقة منذ يومان ونحن هنا في المستشفى.

-رقية بصدمة: «ماذا؟ كيف؟ لماذا؟ هل هي بخير؟ كيف حالها ؟!»

-لا تقلقي، حالتها الجسدية مستقرة، لكنني متيقنة ان نفسيتها محطمة وهي تستمر بالتظاهر انها بخير وفي نفس الوقت ترفض الحديث مع الجميع.

-رقية: «أخبريني في أي مستشفىً انتم، سآتي حالا، انا متيقنة انها لن ترفض الحديث معي».

-حسنا يا ابنتي.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

الحمد لله، عدت اليوم الى بلدي واسرتي، قررت البدء بزيارة الشركة لمراقبة بعض الاعمال المهمة. دخلت الى الشركة فوجدت اختي رقية وزوجها حسام وزينب يجتمعون في مكتب حسام، اعتقد انهم كانوا يعملون. ألقيت السلام ولوحت بيدي لأختي، المشكلة انه لا ملامح ولا مشاعر تحط على وجهي حاليا، هرولت نحوي وضمتني من بعدها صديقي حسام، وفي نفس الوقت، كان نظري مركزا على تلك القابعة على ذلك الكرسي، استدارت نحوي تدريجيا تزامنا مع تزايد نبضات قلبي، تقابلت اعيننا أخيرا، لكن الصدمة كانت تكسو ملامحها. أعلم انه لا وجود للأميرات في هذا العصر، لكنها اميرة قلبي، اميرة زماني، زينوبتي، فتاتي القوية البريئة، المعقدة المدللة! اجتمعنا بعد مدة لا باس بها على طاولة العمل بحيث لم ترفع عيناها الجميلتان نحوي، لم تتفوه بأي كلمة، ظلت تعمل وتعمل فقط، حتى سمِعْتُ اختي تخاطبها:

-رقية: «ابتلع القط لسانك، اليس كذلك؟»

والرد السوء كان من طرف حسام، كان رده قاسيا لكنه صريحا، ربما!، احسست بالسخرية فعلا:

-حسام: «مشكلتها مع حسام، تراه وحشا ربما ؟!»

احمر وجهها بشدة، اما انا فشردت لوهلة ثم ناظرتها مجددا بنظرات وحشية، قهقهت بسخرية مريرة، ثم عدت لشرودي مجددا، حتى لمحت اختي تعود لمضجعها بعد الضوضاء التي دوت المكان، لا اعلم ماهي، ولا اريد ان اعلم.

اعتذرت من رقية وحسام فقصدت المنزل، لن أصف لكم الأجواء فهي كالعادة، انا هربت الى غرفتي كي أستريح من ضجيج الأطفال في الأسفل، لم اعي على نفسي حتى غفوت.

## ال 21:23مساء

**ادينا صلاة العشاء ثم اجتمعنا على طاولة العشاء، كان الجميع يتبادلون مواضيع مختلفة، اما انا فشارد، وهلة في كلام حسام ووهلة أخرى في زينب، اجل، موضوع الزواج الذي قررت فتحه مع والداي أخيرا!**

**-الحمد لله، شبعت.**

**-ابي: «بالعافية يا بني ...»**

**-ابي، اريد الحديث معك في موضوع مهم انت وامي فيما بعد.**

**-امي: «خيرا يا بني؟»**

**-خيرا ان شاء الله يا امي.**

**أرد الحديث مع والداي على انفراد بعد مغادرة الجميع، اردت ان أكون مرتاحان يتفهم والداي موقفي وطلبي الغريب والمفاجئ هذا، نعم!، سيكون موضوعا مفاجئا في نظر الجميع، كيف لي ان اطلب الزواج فجأة وانا الذي كنت اغلق هذا الموضوع في كل مرة يتم فتحه. لا يهمني! ما اعلمه فقط هو ان والداي سيسران بهذا الخبر!**

**غادر الجميع أخيرا فاجتمعنا ثلاثتنا في الصالون، فبادرت بالحديث:**

**-قد يكون الموضوع غريبا قليلا لكني جادٌ في قراري هذا.**

**-امي: «نحن نستمع اليك يا بني»**

**-اريد ان أتقدم لخطبة فتاة ما.**

**-ابي بتفاجؤٍ: «تمازحنا، صحيح؟!»**

-لا امزح، انا جاد في كلامي

وتواصلنا بصريا، بحيث كانت الصدمة تعتليهم، وبعدما أدركا أنى جاد أخيرا!، جلست والدتي بجانبي تعانقني مشاكسة اياي بسعادة كبيرة، ووالدي يتبع بكلمات تهان بصراحة لا تهمني ثم قال:

-ابي: «ومن هذه الفتاة إذا؟»

-اجبت: «انها مديرتنا المالية، الانسة زينب شاكر، فتاة متحجبة، تبلغ ال 26 سنة من عمرها، فتاة يتيمة تعيش في بيت جدتها –شكله متحمس –

## بعد مدة من النقاش

-والدتي بسعادة: «سأتحدث معها غدا بأذن الله، سأعجل الامر قبل ان تفرَ من أيدينا»

ضحكنا ثلاثتنا وأكملنا الحديث بخصوص نفس الموضوع، فقاطعتهم:

-نسيت! سأتصل برقية، انها صديقتها المقربة واظنها تستطيع مناقشتها الموضوع مباشرة.

-ابي بمرح: «يا سلام، كل هذا ونحن لا نعلم ؟!»

ناظرته بهدوء وبادرت الاتصال بها:

-اسف على ازعاجك في هذا الوقت يا رقية

-رقية: «لا مشكلة يا اخي، ازعاجك أفضل من ازعاج هؤلاء الصغار».

-امي تريد التحدث معك.

وجهت الهاتف لأمي، فأعلمت اختي بخصوص هذا الموضوع، ومن نبرة صوتها المبالغ فيها، استشعر انا في قمة سعادتها أيضا، حتى صوت ضحكاتها وقهقهتها تصل الى مسمعاي الان.

مرت الليلة بصعوبة، بمشعر مختلطة، سعادة، قلق، حماس. لا يهم!، المهم انني لم أنم ليلة أخرى حتى التقطت اذناي صوتا يعلن عن اقتراب صلاة الفجر، توجهت لتأدية فريضتي في المسجد، وبعد عودتي، لا أنكر انني نمت بصعوبة بالغة!

استيقظت قرابة السعادة السادسة صباحا وقمت بروتيني الاعتيادي ككل يوم، ارتديت أجمل ما لدي، تناولت فطوري ثم قصدت عملي بعدما تفاهمنا انا وامي ان يأتي السائق لاصطحابها قرابة العاشرة.

## ال 11:00صباحا

-حسام: «تأخر غير اعتيادي»

-رددت بمرارة: «اظن ان القدر يحاربني هذه المرة أيضا»

حملق فيَ الجميع بصمت فلمحت الشاردة على مضجعها قرب والدتي وعلامة الحيرة القلق تكسو ملامحها، لم اشأ التدخل فلربما تكون مشكلة خاصة. حل المساء، ولا وجود لها، لأثرها، لرائحتها ولا لظلالها، زينب غير موجودة، للأسف لم تأتي وتوجب عليَ الانتظار يوما اخر.

-حسام: «من الواضح انها تواجه مشكلة ما، لم تتغيب عن العمل يوما»

-رقية: «خائفة ان تكون مشكلة كبيرة»

-رددت بسرعة: «ماذا تقصدين بكلامك هذا؟»

**قصت علي رقية ما اعلمتها بع زينب بالأمس وأنها تعاني من مشاكل عائلية كبيرة مع خالها وكذا مرضها النفسي. احسست وقتها انني اعرف عنها ما لا اعرفه عن صديق لي، فانتابتني رغبة مفاجئة في السؤال عنها مجددا او محادثتها.**

**وفي الليل، طلبت من رقية الاتصال بها مجددا، ولم يكن لها الا ان تنفذ طلبي، رن الهاتف أخيرا، ومع زيادة طول مدة الرنين، كانت قلبي يتسارع نبضا، حتى سمعت فجأة اختي تتحدث على الهاتف:**

**-السلام عليكم خالتي، انا رقية صديقة زينب من العمل، أ يمكنني التحدث معها، أتمنى انني لم ازعجكم في هذا الوقت المتأخر من الليل.**

**-الجدة: «جزاك الله يا بنيتي، لكن لا يمكنك الحديث معها الان»**

**-خيرا يا خالتي !؟**

**-الجدة: «في الحقيقة، زينب في المستشفى»**

**- ماذا؟ كيف؟ لماذا؟ هل هي بخير؟ كيف حالها ؟!**

**-الجدة: «لا تقلقي، حالتها الجسدية مستقرة، لكنها الحديث مع الجميع ترفض»**

**-من فضلك يا خالي، أخبريني في أي مستشفىً أنتم، سآتي حالا، متأكدة انها لن ترفض الحديث معي.**

**الجدة: «حسنا ... بارك الله فيك يا بنيتي، انا في انتظارك»**

**أغلقت رقية الخط وقد كانت قلقة جدا، اما انا فلم أكن اقل منها، قَرُبَ قلبي على التوقف بعدما سمعته من جدتها على الهاتف، لكن ما عساي بفاعل. سأصبر، نعم، سأصبر بإذن الله!**

**في المستشفى**

**التقينا جدة رقية عند باب المستشفى بالأسفل وقد كانت في انتظارنا، اقلتنا انا ورقية وحسام الى الداخل، فجلسنا انا وحسام في انتظار رقية التي دخلت للتحدث معها. أتمنى ان تحل الأمور واطمئن عليها بسرعة!**

**~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~**

**انا مستيقظة لما يقارب 7 ساعات متتالية، حالتي الجسدية جيدة، لكنني شاردة، منهكة، متعبة، أسيرة افكاري، لا يسعني الا ان أفكر في حل للخروج من هذا المأزق، وأيا ما كان، المهم ان لا تضيع حياتي بين يدي رجل بعمر والدي او أكثر، والا تتحقق رغبة خالي.**

**جالسة اناظر النافذة في حين ان الهدوء يحيط بي من كل مكان، فجأة! صمعت صوت طرق منبعث من الباب**

**-رقية: «أ يمكنني الدخول يا زينب، هذه انا رقية»**

**لم يكن عليَ سوى ان ادخلها، فهي صديقتي الوحيد ومؤنستي الغالية، لا يمكنني البوح بما يؤلمني لسواها، مثلت الصلابة فسمحت لها بالدخول. دخلت بصحبتها جدتي ولم أستطع ان اقرا من عيناهما سوى القلق والحسرة، ابتسمت رقية لي فبادلتها برحابة صدر، اقبلت نحوي تضمني اليها، بادلتها بحرارة فخانتني دموعي ة انسابت من جفناي دون إرادة مني، انصرفت جدتي وأغلقت الباب سريعا، ظلت تهدئ من روعي وتخفف عني.**

**بعدما هدأت، ناظرتها بهدوء هي التي اختارت الصمت لتؤنس وحشتي به. فتاة جميلة جدا، ثرية، حرة، خلوقة، تملك كل ما تريد، فتاة كاملة بكل الاحوال، اما انا فعكسها تماما، وجودي**

بجانبها معضلة كبيرة، لا مجال للمقارنة بيننا، اغلب اوقاتها بشوشة اما انا فمعقدة، اعادت بناظرها نحزي وابتسمت لي بإشراق، فأردفت:

-رقية: «زينب، انت بمثابة اختي التي لا املكها، وانا لا اقبل بحالتك هذه، ما الذي اوصلك الى هنا؟، ما الذي حدث، ارجوك بوحي لي ودعيني أجد حلا لك»

صمتت وهلة ثم رددت: «تعلمين مسبقا، مشكلتي مع خالي لن تنتهي، ولقد اتته فكرة عبقرية حديثا، يريد ارغامي على الزواج من كهل أحمق، مقزز مثله تماما، ما أعجبه فيه سوى ثراؤه ونقوده وانا لن اقبل بهذا ابدا ٬ اخبرته انني لن اقبل، فأبرحني ضربا ووصلت حالتي بسوئها الى ما انا عليه الان»

-رقية: «اياك! اياك يا زينب! انه مجنون، سيؤدي بحياتك الى التهلكة، هناك فرصة أجمل بكثير من هذه الفرصة، وبقبولك لهذا ستضيعينها».

-رددت: «اعلم ولست غبية لأوافق»

-رقية: «في الحقيقة، اردت الحديث معك في موضوع مهم، لكن اعتقد ان حالتك هذه لا تسمح بهذا حاليا، لذا سنتطرق اليه حينما تغدين بحالة أفضل»

-ابتسمت لها ثم اتبعت: «ان شاء الله، زوريني حينما انتقل الى المنزل الثلاثاء القادم»

بعد مدة، وقبل مغادرة رقية، القى علي حسام وفؤاد التحية عن بعد لم تتجاوز عتبة الباب، ووعداني بزيارة أطول في المرة القادمة.

**تحسن مزاجي بكثير بعد رؤيتي لرقية، زيارتها كانت في الوقت المناسب حقا، اقبلت جدتي نحوي تقدم لي بعضا من مطبوخاتها الشهية وابتسامتها الرؤوم لا تغادر فاهها كالعادة، اجل كما عرفتها تماما!**

**~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~**

**ألقينا أخيرا نظرة على زينب، كانت تبدو متعبة جدا، شاحبة، ولكن نظرتها وابتسامتها طمأنتاني قليلا، ألقينا عليها التحية سريعا احتراما لخصوصيتها، لكن، لن اطمئن تماما ابدا!، لن اطمئن تماما قبل ان تصبح بجانبي، تحت رعايتي، وملكا لي، تحمل اسمي وزوجة لي، حينما تصبح زوجة لي فقط سأكون مرتاحا مطمئنا، الم يئن تحقيق هذا الاطمئنان؟ والى متى سأبقى منتظرا؟**

**~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~**

**<u>بعد 3اسابيع</u>**

**عدت الى عملي اليوم وتلقيت ترحيبا حارا من زملائي في العمل، اما بالنسبة لخالي فقد غادر هو وزوجته المنزل، وانتقلوا الى منزل احلامها.**

**<u>تسريع الاحداث</u>**

**جالسة على مكتبي، مركزة في عملي، يا ألهى! مصيبة! من الذي سينتزع هذه الكومة من الأوراق، يجب عليَ ان انهيها بأسرع ما يكون. أسرع وأسرع وأسرع من اجل ان أنقص عني هذه المصيبة الوخيمة. مرت ساعتان من العمل المتواصل وفعلا اوشكت على الانتهاء، سمعت طرقا خفيفا على الباب واكيد هي رقية ولقد حفظت صوت طرقاتها.**

-نعم تفضلي يا رقية

دخلت بابتسامة مشرقة كالعادة، اقتربت من مكتبي وجلست مقابلة اياي، ظلت تتأملني حتى تقابل ناظرانا فجأة، انفجرنا ضاحكتان فقد كانت نظراتنا جد مضحكة.

-رقية: «زينب، في الحقيقة اردت الحديث معك في موضوع خاص، اخبرتك بهذا من قبل»

-نعم، لقد نسيت تماما، خيرا !؟ ما هو هذا الموضوع؟

-رقية: «من اين سأبدأ؟ ... حسنا، استمعي اليَ جيدا»

-حاضر، انا استمع

-رقية: "في الحقيقة، انت كصديقة لي أستطيع تقييمك على أنك فتاة مثالية خلقا، ممتازة ومبدعة في كل شيء، ومن دون شك انت أفضل فتاة تعرفت عليها حاليا ولن تكون هناك غيرك»

-رددت بخجل تتذمر: "نت تخجلينني بكلامك، ما سر هذا الاطراء المفاجئ؟»

-رقية بنبرة خبيثة، ماكرة: «صدقا، هناك شخص ما في الشركة معجب بك: «جدا، واعتقد انه تعدى مرحلة الاعجاب بكثير، عيناه تشعان حبا بك، ويريد ان يتقدم لطلب يدك من اهلك، وجئت اعرض عليمك هذا الموضوع»

- ... لكن !؟

احمر وجهي وتلعثمت كلماتي، ظللت اضحك كالبلهاء فقط، اما هي فأظنها توقعت ردة فعلي هذه، بقيت تبتسم مشاكسة اياي أيضا، فرددت بعد ان استوعبت موقفي:

-هل يمكنني ان اعرف أولا؟ من هذا الرجل؟

-رقية: «حقيقة وانه اخي فؤاد»

-رددت باستنكار: «ماذا؟، تمزحين، صحيح!، مجنونة، بلهاء، غبية»

-رقية بفرح: «ماذا؟ انه اخي، نعم فؤاد متيم بك، لقد أعجب بك منذ مدة، لكنه ابى ان يفصح عن مشاعره لوالدي فجأة، صراحة! انهم تفاجؤون في المنزل»

نظرت لها فأخفضت بصري أفكر مليا، اعماقي ترفض هذا بشدة، كيف سأخبرها بهذا ؟؟

-بصراحة يا رقية، انا لست مستعدة لذلك، اما بالنسبة لأخيك، لا أستطيع، انه رجل معقد جدا، لا أفهمه ولا يمكنني التفاهم معه، علاوة على ذلك هو لن يتقبلني بنفسيتي المتقبلة هذه ولا مجال للمقارنة بيننا، هو رجل مثالي تماما، اما انا فأغلب ما يقال عني مجنونة! اعتذر ... حقا!

-رقية بمشاكسة: «من قال انه لن يتقبلك؟، انه مستعد لقبول جميع شروطك وطلباتك حتى انه موافق على اكمالك لدراستك وعملك بعد زواجك، ارجوك! اقبلي يا زينب، انه رجل جيد، التزامه بدينه يفوق التزامه بعمله، انظري!، هو مستعد لمنحك كل ما حرمت منه سابقا، لم تندمي، فقط وافقي وستكونين جزءا من عائلتنا وهذا يشرفني، وكذا من دواع سرورنا جميعا ان تنضم الينا فتاة طيبة مثلك يا زينب»

-زفرت بخفة ثم رددت: «من فضلك يا رقية، أعطني مدة للتفكير، سأخير جدتي وجدي الواو من ثم سارد بالإجابة لك»

ابتسمت رقية بإشراق مجددا ثم اتبعت

- «اكيد على مهلك!، خذي راحتك» واتبعت ممازحة اياي: «اعلم أنك لن ترفضي لي طلبا، سنكون مقربتين دوما، ونحن مستعدون للقدوم الى منزلكم متى ما اردتم»

-رددت بسرعة: «حمقاء، اصمتي، انه ليس وقتك، لقد شتتي تركيزي فعلا فهنيئا لك»

فرت رقية هاربة بعدها بسرعة كبيرة، اما انا فعدت الى عملي ونصف تركيزي في هذا الموضوع المفاجئ.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

-هكذا اذن!؟

-رقية: «نعم، لكنني لا اظنها سترفض، سأفعل أي شيء من اجل اقناعها، ات فقط تمسك بقرارك هذا يا فؤاد»

-لست بمرتاجه عن هذا القرار ابدا!

-رقية بفكاهة: «اعتقد انها ستقبل، فهي لن تجد فرصة كهذه ابدا» واتبعت مازحة: «رجل مثالي، ثري ووسيم، ايُ شيء بعد هذا يراد؟»

قهقه حسام ورقية من بعدها، اما انا فظللت اناظر أوراق العمل المبعثرة على مكتبي، لا أستطيع ان اعبر في نفس الوقت عن مشاعري، لا أحد يفهمني وانا أيضا لا افهمني، أحاول ان لا أبدو كما اشعر فملامحي بدأت تتحدث عن الهيام الذي أكنه بداخلي اتجاهها، ولا اريد ان احلم حتى يتحقق مرادي بموافقتها.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

عدت الى المنزل أخيرا، ألقيت السلام فتوجهت الي غرفتي، اخذت حماما قصيرا وبعدها اديت صلاة العصر وهممت لمساعدة جدتي في المطبخ، ووجدتها قد انتهت فعلا! .

جلست مقابلة إياها، اريد مصارحتها بشأن موضوع رقية، لكني ما زلت ارفض صاحب الظل الطويل ذاك بشدة، لكن شيئا بداخلي متيقن ان جدتي ستساعدني في اختيار القرار الصائب.

-جدتي، هناك موضوع اريد التحدث فيه معك.

-الجدة: «نعم، بالتأكيد يا صغيرتي، تفضلي، وانا استمع اليك»

-رقية حدثتني صباحا في موضوع خاص، وهم يودون خطبتي لفؤاد، مديرنا العام في الشركة، وانا ... فقط اردت اعلامك.

-الجدة: «أ حقا؟ ... ما شاء الله، انه خبر رائع، لقد لمحته مسبقا في المستشفى، ويبدو رجلا رزينا، حتى اسرته أناس طيبون، ما شاء الله»

-اعلم يا جدتي، لكني لا اعلم لماذا ما زلت ارفض هذا بشدة.

-الجدة: «انها فرصة لات تعوض يا زينب، لا تخبريني فقط أنك تنوين الرفض! ستتغير حياتك تماما إذا دخلت الى عائلتهم، ستحققين نجاحات وأحلام كبيرة بجانب دعمه، علاوة على ذلك، ستتخلصين من مشاكلك وبؤسك، صدقيني، لن تندمي على ذلك»

ناظرت جدتي بهدوء وهل فعلا قبلت بهذه السهولة؟، نعم وأنها جدتي وليست بالشخص الذي ينوي خداعي، بل هي أكثر معرفة مني في مواضيع أجهلها كالزواج.

ابتسمت لي جدتي بدفء فبادلتها وظلت تتحدث عن مواضيع عشوائية بنفس الفكرة.

وصل الخبر الى جدي فاستقبله برحابة وسرور كبيرين، لم أكن أرى غير السعادة تتطاير من عيناهما، واكيد، فرحت لهذا كثيرا، مر اليوم بسلام وانتهى أخيرا بعدما تفاهمت وتناقشت مع جدي وجدتي، وقد أخبراني انهما يرحبان بعائلة رقية في أي وقت.

## بعد 6 أيام

### ال 11:24

التقينا انا ورقية في قاعة الاجتماعات بعدما انتهى الاجتماع بغية التدت معها، تبادلنا أحاديث مختلفة في مواضيع عشوائية، فاستفتحت هي الموضوع قائلة:

-رقية بابتسامة: «هل اعلمت جدتك بخصوص الموضوع؟»

-في الحقيقة ... نعم.

-رقية بحماس: «وماردة فعلها، هل وافقت عليه؟»

-صمتتُ برهة ثم رددت في خجل: «نعم، وافقت، وهي ترحب بكم متى ما اردتم القدوم»

فرحت رقية بشدة واقبلت نحوي معانقة اياي بقوة فردَت:

-رقية: «سيفرح فؤاد بهذا الخبر كثيرا، ان شاء الله ستكونان خيرا لبعضكما البعض»

ابتسمت لها بخفة، ثم أكملنا اعمالنا الشقية كالعادة، بعدها غادرنا الشركة باكرا عائدين الى المنزل.

---

استقمت من مضجعي بسعادة كبيرة بعدما أوصلت لنا اختي رقية قبول عائلة زينب بخطبتها، اقبلت امي تقبلي وتهنئني، وانا كنت مصابا بنشوة كبيرة بعدما شحن قلبي بالأمل مجددا والامل الذي

**خفت التمسك به مسبقا، املا خفت ان اتحطم واتهشم بسببه، وهاوه الان سبب في ارتسام ابتسامتي العريضة على فاهي، وهذا ما افرح عائلتي، وفاجأهم في نفس الوقت. من كان يظن ان رجلا مثلي قد يبتسم بصدق يوما فقط لأنه تم قبوله من حبيبته. فقط لأنه كان متأملا بهذا، فقط لأنه يريد ان يحمي فراشته الرقيقة وراء صدفة قوته وجبال ثقته.**

**هو كان من الأول مدركا عدم رفضهم له ...**

**أ هو غروره يا ترى؟**

**ام هو كبرياؤه الطاغي ذاك؟**

**ام هي ثقته التي جعلته يختارها وهو موقن انها حبيبة عمره وعشيقته الى الابد، نعم عشيقة الأولى والاخيرة!**

**ابتسم بخفة بعد ان وصلت أفكاره الى هذا النقطة ثم عاد يعترف لنفسه ...**

**-انه الحب يا سادة!**

**لا بل هو اعلى درجات الحب ... الهيام!**

**وبمناسبة هذا الخبر الرائع، اقامت عائلتي عشاء عائليا، والذي عارضته بشدة في البداية، ولكن ما عساي بفاعل؟**

**جاءت خالتاي كلتهما مع ابنتيهما اميرة وسارة، وكذا عمي وزوجته. بعدما اجتمعنا على طاولة العشاء، شرعوا في فتح مواضيع عشوائية، اما انا فاخترت الصمت بدلا من مشاركتهم الحديث، قاطع شرودي تحدث خالتي الكبرى مخاطبة اياي:**

**-الخالة الكبرى: «هذا ليس عدلا، الم يكن من الصواب ان تتزوج بأميرة، انها أقرب اليك نسبا، وانت أكثر معرفة بها، لقد تربيتما معا منذ ان .....».**

**-رددت ببرود قاسٍ: «هذه اموري الخاصة وشؤون حياتي وانت لا دخل لك فيها، ولَن اسمح أي أحد كان بالتدخل فيها»**

**عكرت الأجواء بردي هذا، اما خالتي الكبرى فظلت تناظرني بغضب شديد وانا الذي كنت ابادلها بثقة، غرور وكبرياء شديد.**

**-حسنا، اذن كيف لك انت تختار فتاة فجأة؟ ومن هي هذه؟، وما الفرق إذا اخترت اميرة، اميرة فتاة مثالية والجميع يتهافت عليها ويرغب بالزواج منها.**

**ردت امي: «ليس كذلك، تعلمين ان فؤاد صعب المراس وكما أقول له دائما فان قراره لا يأتي الا من رأسه، وباختياره لهذه الفتاة فجأة، لا بد انه ميَز فيها خلقا طيبا، حقا ربما هي مختلفة!»**

**-رددت أحاول اغاضة الكبرى: «بارك الله فيك يا أ مي»**

**احست خالتي بالسخرية، ما زاد من غضبها، لكنها لم تشأ التكلم وزيادة الامر سوءا خصوصا وهي تعلم انني لن اتراجع عن قراري هذا، لكن وياء سلام! انظروا من تحدث، من يدعي البراءة هنا بيننا، من هو شيطان على هيئة ملائكة.**

**-تحدثت اميرة بدلال وحرارة مشاعرها تشتعل في عيناها: «لكن يا فؤاد، هل بادرت بأي خلق سيء، او أي كلمة بذيئة كي ترفضني ... وتحطم كبريائي هكذا ؟!»**

**تجاهلتها، فحاولت اكمال دلالها المقرف ذاك، لكنني ناظرتهم جميعا بنظرات مخيفة، يعلمون عاقبتها، استقمت من مكاني تحت دهشة الجميع مغادرا المنزل كليا.**

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

**-الجدة: «اذن يجب عليك ان تشتري ملابس ملائمة ليوم الخطبة، اما بخصوص التحضيرات، فاتركيها لي»**

**-حسنا جدتي، لكن ... هل خالي يعلم بهذا الخبر؟**

**-الجدة: «لا تقلقي بعد قراري بإرجاعه الى المنزل مع زوجته، لن يقوى على رفض طلب لي او عصياني، واظن سيصل قريبا، سرعان ما يصلون، سأعلمه بهذا، انت لا تقلقي بهذا الشأن، اهتمي بنفسك ومناسبتك. كوني سعيدة فقط!»**

**ابتسمت لها فبادلتني بدفء ورحابة صدر، بعدها قامت كلتانا لتأدية صلاة العشاء.**

## بعد ساعتين تقريبا

**دق الجرس معلنا عن وصول خالي وزوجته، واكيد معهما كرههما وشرارتهما، لكن من يبالي، الجميع يوصيني بأن احافظ على سعادتي وصحتي!**

**فتحت جدتي الباب وبالرغم مما حدث مسبقا، استقبلتهم بسرور، وكأن شيئا لم يكن!، لمحت زوجته المتعجرفة تلك تقبل ناحيتي، فاستقمت رغما عني من مضجعي لألقي عليها التحية، بعدها جاء خالي وفعل المثل.**

**التففنا جميعنا على طاولة العشاء بمقدمتنا جدي وشرعنا في تناول عشاءنا في أجواء ملؤها الهدوء والبهجة، حقا أتمنى ان تدوم طويلا!**
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

**بعدما انتهينا قمنا انا وجدتي بتنظيف وترتيب طاولة الاواني، ثم اجتمعنا مجددا في الصالون نتناول مواضيع عشوائية حتى استفتحت جدتي الحديث:**

**-الجدة: «بني، بارك لزينب، ستأتي عائلة صديقتها لخطبتها الأسبوع القادم ان شاء الله»**

**-خالي بتعجب: «ماذا ؟؟من هذا الرجل الذي سيتقدم لها؟، وهل أنتم مجانين لتقبلوا هكذا دون معرفة بالعائلة، هذا خطا كبير!»**

**-الجدة: «لا تقلق، تعرفت على والدي الخاطب مذ دخلت زينب الى المستشفى اخر مرة، وكذا تعرفت على الرجل الذي يريد الزواج منها»**

**-خالي بغضب طفيف: «ومن هو هذا الرجل؟ ومن اين يعرفها؟ ... كيف قبلت به بهذه السهولة؟ »**

**-الجدة بثقة: «لا داعي لكل هذه البحاثات، انا قلت انه رجل جيد. ولا يهمني شيء سوى انها ستعيش معها في سعادة وراحة»**

**-خالي: «لم اقل شيئا، سوى انني اريد ان اعرف من هو؟»**

**-الجدة: «انه مدير شركتها فؤاد، يبلغ تقريبا ال 36 سنة، والاهم انه رجل صالح، الجميع يتحدث عن اخلاقه»**

**ضمت خالي دون أي ردة فعل، ناظرتني جدتي بنظرات ملؤها الانتصار، فطأطأت رأسي بخجل وابتسمت، وكما قلت سابقا، على الرغم من انني رافضة لفكرة الزواج من فؤاد، الا انني سأمنح فرصة لنفسي بأن أكون حرة عن قرارات الجميع.**

**<u>بعد أسبوع</u>**

استقبلنا اليوم في منزلنا المتواضع عائلة زينب، قَدِمَتْ رقية مع والديها وخالتها برفقتهم حسام واخوها رامي –اخ فؤاد-واكيد دون سابق ذكر فؤاد.

ارتديت تنورة طويلة ذات لون رمادي بهي، مع لمسة خفيفة ناعمة من المكياج، وكذا تصفيفة شعر بسيطة، كنت في قمة خجلي!، لا اعلم حتى ما سيحدث بعد قليل.

خرجت من غرفتي بغية التوجه الى الصالون حيث النساء جالسات، التقيت صدفة برقية مع زوجة خالي وقد كانتا في طريقهما نحو غرفتي.

اقبلت نحوي رقية وهي تناظرني بنظرات خبيثة مضحكة، صدقا!، جعلتني اضحك على الرغم من ارتباكي.

-رقية: «حقا جميلة! اين كنت تخفين كل هذا الجمال؟ »

-ابتسمت في خجل ثم رددت: «انت أيضا جميلة جدا، ومن فضلك لا تخجليني أكثر لأنني سأقوم بكارثة بسبب ارتباكي، صدقوني ستهربون ولن تعودوا مجددا»

قهقهت كلتانا بصدق وكل هذا تحت مراقبة زوجة خالي لنا، فاتبعت هي أيضا بضحكة مزيفة، بعدها استجمعت شجاعتي ودخلنا جميعنا الى صالون النساء.

استقام النساء جميعهن، نتبادل التحية والقبل، اما والدة رقية فأطلقت زغردة طويلة تحت ضحكتي الخجولة ثم اقبلت تسلم عليَ وفعلتُ المثل.

انضممت انا ورقية إليهم وجلسنا نتبادل أحاديث عشوائية، كنت جالسة بجانب والدة فؤاد وكذا جدتي، أفكر وأفكر مليا.

أ حقا هذا اليوم سعيد؟

**أ انا أعيش الان فرحة حقيقية؟**

**ام هل انا استشعر طعم السعادة الحقيقي هدية من الخالق لي بعد طول البلاء الذي حلَ علىَ؟**

**قاطع شرودي استفتاح خالة فؤاد الحديث:**

**-خالة فؤاد بوقاحة: «اذن انت هي زينب، توقعتك فتاة أكثر جمالا!»**

**صمتنا جميعا، بينما كل الانظار كانت مركزة عليَ انا التي رفعت راسي اناظرها بثقة كبيرة، كدت أرد عليها حتى قاطعتني والدة فؤاد:**

**-الجمال الحقيقي هو جمال القلب والروح وما يتبعهما من اخلاق، اما ما يجذبكم أنتم من جمال فهو مجرد إضافات ومجرد اغواءٍ فانٍ، ما شاء الله الفتاة رائعة»**

**-اتبعت جدتي: «بارك الله فيك يا أختي، حفظك الله»**

**-اتبعت رقية مشاكسة بخبث تحاول تلطيف الاجواء: «لو انها رفضت، لأقدم فؤاد على الانتحار»**

**قهقهن جميعهن بصخبٍ، وانا التي احمر وجهها من الخجل بسبب تعليق رقية، ضربتها ضربة خفيفة على كتفها فأتبعت بتلاعبها المعتاد:**

**- «ماذا؟ انها الحقيقة، اسألي امي إذا اردت، منذ راك اول مرة وهو يهلوس باسمك زينب، زينب. ينب ...» اتبعت وهي تقوم بحركاتها الطفولية بيديها بينما الجميع ظل يضحك على موقفنا انا وهي.**

-والدة فؤاد: «نعم، هذا صحيح، انها تقول الصراحة، فؤاد كان يرفض الزواج بشدة ويغلق الموضوع بتجاهل في كل مرة افتحه معه، ولو لم يرى فيك ما يميزك في نظره، لما كان سيرمي على بقنبلة لطيفة فجأة هكذا، وعلى كل الأحوال الحمد لله وسعيدة جدا لوجودك انت بيننا الان، على الأقل سأحافظ على ابني سعيدا وقلبي مرتاح»

-جدتي: «أنتم أيضا أناس طيبون، ولو لم أرى فيكم خيرا لما كنت سأمنحكم حفيدتي الوحيدة».

طأطأت راسي بخجل شديد تحت نظرات جدتي لي ومضايقات رقية الجريئة، فجأة تحدثت زوجة خالي بنبرة لم تخلو من الوقاحة:

-امنى فقط لفؤاد ان يصبر على هذه الفتاة، فكما تعلمون هي فتاة يتيمة وهذا أدى الى تدللها بشدة على جدتها، علاوة على انها عنيدة جدا ولديها تقلب مزاجيٌ حاد ومفاجئ، احسها مجنونة في اغلب الأوقات بعد ان تبهرني بنوباتها ال.... -لم تكمل –

-رقية بغضب عاصف: «هذا غير مهم ابدا، فؤاد على دراية مسبقة بالأمر، وكذا هو مستعد لفعل المستحيل من اجل علاجها، حتى ان لم تتعالج فهو مستعد لقبولها بحقيقتها، ما دخلك انت ان كانت مجنونة او مدللة او حتى يتيمة، وهل اليتم عيب مثلا؟ ... من فضلك حافظي على سلامة هذا اليوم بأجوائه والا فلن اتركك تعلقين وتفرين هكذا بلسانك القذر ذاك!»

صمت الجميع بدهشة والأجواء معكرة جدا وذرات الهواء متنافرة وجدا كما لو ان الشحنتان المتطابقتان التقتا مع بعضهما البعض، هدأت والدة فؤاد رقية بينما جدتي كانت تناظر زوجة خالي بغضب وتوعد شديدين، وانا افعل المثل اناظرها بتماسك لم

أعتده هذه الفترة، أتمنى في هذه اللحظة ان أحطم رأسها وأقطع لسانها السليط ذاك بيدي هاتين.

قمت انا وجدتي لترتيب الطاولة بمختلف أنواع الحلويات وكذا تقديم أنواع المشروبات.

مرت الساعتين التاليتين بسكينة، كنا نتبادل الأحاديث والضحكات حتى قاطعنا صوت طرق باب الصالون. اعتذرت جدتي بعدما عرفنا ان الطارق هو جدي وغادرت بعدما ناداها جدي حتى اختفى ظلها شيئا فشيئا. واصلت انا ورقية ووالدة فؤاد الأحاديث اللطيفة تلك، واعترف فعلا ان والدته امرأة طيبة ولطيفة جدا، أمرتني ان ادعوها امي فجأة وكان هذا من دواعي سروري.

عادت جدتي أخيرا وابتسامتها تشق معالم وجهها:

-جدتي: «حبيبتي، جدك اخبرك انه من اللزام ان تتحدثي مع عريسنا على انفراد ولو لمدة قصيرة، انه بانتظارك»

رددت بتلعثم وسرعة كشفا عن خجلي: «ماذا يا جدتي؟ تمزحين معي، كيف لي ان اتحدث معه على انفراد؟ أنتم تنوون قتلي فعلا، لن اتحدث معه على انفراد ابدا!»

قهقهت جدتي ورقية على تصرفاتي، ثم اتبعت امي –والدة فؤاد-قائلة:

-من اللازم ان تتحدثوا ولو قليلا، وإذا اضطر الامر خذي معك رقية

ناظرت رقية بنظرات طفولية مضحكة، فما كان لها الا ان تستقيم كي تأتي معي.

ارتدت كلتانا حجابها وخمارها ورحنا نحو غرفتي، وجدنا فؤاد وجدي يقفان بجوار الباب وعلى ما اعتقد في انتظاري، نظر

**جدي وفؤاد الينا بتعجب، وسرعان ما التقت عيناي في عينا فؤاد، هربت بهم بعيدا وطأطأت رأسي بخجل، ابتسم جدي لنا. وهم بالمغادرة.**

**فتحت باب غرفتي وأمرتهم بالدخول، من حسن حظي انها كانت مرتبة!**

**-تفضلوا بالجلوس**

**جلسا ثم فعلت المثل وحافظنا على صمتنا لدقائق حتى قاطعه فؤاد متحدثا:**

**-اذن، هل سنبقى نناظر العدم هكذا؟**

**ضحكتُ بخجل ثم اتبعت رقية:**

**-انت تموت وهي لا تبادر بالكلام، الا ترى وجهها المحمر من خجلها؟**

**كان فؤاد يحتفظ بابتسامته الدافئة بسطحية، وفي نفس الوقت، ملامحه بقيت على غرابتها وما زالت تعلوا تقاسيم وجهه.**

**بعد رؤيته الان عن قرب، اعترف انه رجل اخاذ –وسيم جدا-، لكن ... عقليته الغامضة هذه، تجعلني اصدق أكثر انه قوي جدا، وواثق كفاية بنفسه، نظراته الصقرية الواثقة هذه!**

**-فؤاد: «لا تخجلي يا زينب، كوني على طبيعتك المعتادة وناظريني بنظراتك القوية تلك!»**

**رفعت بصري اتأمله بهدوء، اما رقية فكانت تضحك على كل ردة فعل تبدر مني اثناء نقاشنا انا وهو، حتى أخيرا، دق الجرس، وانتهت حصة الخجل تلك، فرحت بشدة كما لو كنت في حصة رياضيات او اسوء من هذا بكثير، ولو تكن قلة ادب لفررت من**

**الغرفة قبل ان اسمع رده، وصلت لأعلى درجات السخونة من خجلي وما زاد الامر سوءا حجابي في هذا الجو الحار. قبل ان ابادر بختمها:**

**-وهذا كل شيء....**

**-حسنا، لا مشكلة لدي طالما ذلك سيجعلك سعيدة وراضية، وان احتجت أي شيء، او واجهت أي مشكلة حتى ان كانت خاصة، انت مجبرة على اعلامي بكل صغيرة وكبيرة كانت.**

**-حاضر**

**-أتمنى ان تبقي مطيعة هكذا، واياك والتحجج بخجلك عند اتصالي بك واياك وعدم الرد على مكالماتي. والا فإنني أيضا سأتحجج بالقدوم منتصف الليل او بالمكوث هنا عندكم لغاية حفل الزفاف.**

**ضحكة بسعادة وكذلك رقية، استقمنا من اماكننا وقبل الخروج من الغرفة تحدث فؤاد في مقدمتنا وهو يعيرنا ظهره:**

**-ليس من عادتي التحدث بلباقة، لكن ابقي سعيدة هكذا دائما.**

**نبض قلبي بسعادة شديدة، رفقا بك يا قلبي، تكاد تكسر أضلعي من قوة نبضك!**

**أكملنا طريقنا نحو الخارج، فعاد فؤاد مع جدي الى غرفتي الجلوس حيث الرجال، اما انا ورقية عدنا حيث كانت النساء جالسات.**

**فور دخولي، بدأت جدتي بالحديث:**

**-هل سارت الأمور على ما يرام؟**

**-نعم يا جدتي، لا تقلقي، تفاهمنا وانتهى الامر.**

انبرى الجميع في اطلاع زغاريد مختلفة الرنات تحت ضحكاتي الخفيفة، ثم اتبعت امي بلطف خبيث:

-وما سر تأخركم هذا؟

ردت رقية مضايقة اياي:

-سمعت كل أنواع الغزل اليوم، حتى انه قال لها ان تبقى سعيدة دائما!

-توقفي عن المزاح ايتها الغبية، منذ ان دخلنا الى الغرفة وهي تتعمد اخجالي، حتى انني بدوت كحمقاء

قهقه الجميع على ردي، وبقينا نحن الاثنتان نتذمر ونتعاند. والحمد لله مر اليوم بسلام عكس ظني تماما.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

مر اليوم السعيد بسلام وكم تمنيت ان لا ينتهي، ولكن ما عساي بفاعل ان كنت عاشقا أحمقا!

قامت والدتي بإلباس زينوبتي الخجولة خاتم الخطوبة بعدما سوينا شروطنا، اما انا فعجلت حفل الزفاف الى أقرب اجل فجعلته بعد شهر واحد من اليوم تماما، تبادلنا انا وزنوبتي ارقام الهواتف وحرصت على جعلها ترد على مكالماتي حين اتصالي بها، تعرف اليوم والدي على جدها ولأول مرة وكم تفاهما! ، لقد كان جدها انسانا صالحا وخلوقا، اما عن خالها فلا اخفيكم علما، احسست من اول نظرة التقت فيها اعيننا انني اريد ركله وضربه واخراج كل غضبي فيه بعد فعلته اللئيمة الأخيرة مع زينب، لا بل إذا فعلتها فسأنتقم منه لها من كل سنوات القسوة التي عاشتها معه. حسنا لم افعل شيئا!
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

**التزمت الهدوء بجانب رامي وحسام وظللت شاردا غير مبال لحين تحدثي مع زينب.**

**كان انطباعي عنها منذ رأيتها اول مرة انها فتاة ثابتة وقوية، تخفي كل انكسارها ونقاط ضعفها خلف قناع الصلابة ذاك، معقدة ومدللة، اما اليوم فتيقنت من انطباع اخر عنها، انها فتاة خجولة وعلى الرغم من بلوغها ال 27 سنة من عمرها الا انها طفولية لدرجة تجعل لعابك يسيل شهوة في اللعب معها ومداعبتها كطفل صغير ما زال في اعوامه الأول، ما زاد في تعمق شعوري نحوها أكثر فأكثر**

**تفاهمنا بعدها على ان نعقد القران بعد اسبوعان من الان ومن بعدها نقيم حفل زفاف محترم ولائق، وقررت في نفس اليوم ان نسافر الى منزلنا الأصلي، الي بداية جديدة. تعمدت الزفاف في نفس اليوم من الزفاف من اجل ابعاد زينب قدر المستطاع عن حياتها القديمة، عن تعاستها وبؤسها القديمين، اردت ان اضع السعادة بين يدها، قطعت عهدا على نفسي ان لا اسمح لاحد بان يلمس شعرة من شعرها، سأضحي بكل ما أملك من اجلها، من اجل حياتنا معا، من اجل مستقبلنا ومن اجل كل ما يخص كلانا.**

**تسريع الاحداث –بعد شهر ونصف –**

**دخلت الى المنزل، ومن العيب عليَ ان أقول منزلا –فهمنا انه منزل فخم، كفاك غرورا -، كان الصمت سيد المكان عدا أصوات طاقم الخدم الذي كان كل واحد منهم منشغلا بعمله، فهمت من هذا الجو الهادئ ان زوجتي العزيزة الكسولة ما زالت نائمة.**

**استقبلتني رئيسة الخدم، وسرعان ما طرقت قدماي الأرضية حتى تأكدت من عدم ركضها الطفولي نحوي ان زوجتي ما زالت نائمة فعلا!**

**اخذت بخطواتي نحو غرفتنا في الأعلى، صعدت الدرج، بعدها فتحت باب الغرفة بحذر شديد فقابلني منظرها وهي نائمة بعشوائية، شعرها المتبعثر على وجهها، نائمة بوضعية توحي على انها تريد احتلال السرير كله بحجمه الضخم ذاك لوحده.**

**خطوت بخطواتي نحوها بعدما أغلقت الباب، جلست على طرف السرير أتأمل ملامحها، ملامحها العادية والبسيطة، جمالها العادي جدا، لكنها أقرب الى قلبي من كل شيء، اجل امرأة وقعت عليها عيناي في كل مراحل عمري. حططت بيدي على طرف وجهها، ازيل شعرها المتبعثر ذاك عن ملامحها العاشق لها، خصوصا وأنها اكتسبت الكثير من الوزن في الأيام الأخيرة ما جعل منها كتلة من اللطافة والجمال في ان واحد، ناظرت النائمة بهدوء، فخطرت لي فكرة ازعاجها وايقاظها، فشرعت في عملي هذا! ... كشرت ملامحها كدليل على انزعاجها ثم حاولت التملص الى الجهة المعاكسة، عدت افعل المثل، فأطلقت صوتا خافتا زاجرا يدل على انزعاجها. قهقهت بحنان لا يخلو من حزمٍ على ردها بعدما استقامت بجزئها العلوي وعيناها ما زالتا مغمضتان، حاجباها معقودان، زوايا فمها تميل الى الأسفل ... مضحكة بحق!**

**-اذن لن تكف عن ازعاجي يا فؤاد!**

**-ابدا حبيبتي، حتى تدللينني ب (فؤادي) كما انا اديك انا (زينوبتي) وأيضا، كفاك نوما انها الثانية عشر صباحا.**

**-تمازحني صحيح !؟**

**-وما الذي يجعلني امازحك، انت كالدب القطبي تماما، تنامين فقط ولا تستيقظين ابدا، ان لم اتولى انا هذه المهمة، مهمة ايقاظك، فلن تستيقظي ابدا!**

اظلمت ملامحها فجأة وردت بضيق دون النظر في عيناي:

- وهل هذا مزعج لك؟
- -ابدا، على راحتك

تواصلنا بصريا لتوان معدودات ومن ثم استقامت هي مهرولة نحو الحمام، حسنا! منذ اول يوم لنا في هذا المنزل ونحن هكذا، نشرع في حديثنا بطريقة لبقة ولطيفة تتلاءم مع مزاجها، لكنها تعكره فجأة وتتهرب مني، ظننها أولا طريقتها في التعبير عن خجلها، لكني مؤخرا اعتدت على هذا فأنا على يقين انها ستتحسن لاحقا، ربما لم تألف بعدها عن اقاربها ' او انها لم تعتد هذا النمط الجديد من الحياة بعد او شيء من هذا القبيل.

لا يهم! المهم انني سأظل اعامل إياها بطريقة مناسبة وسرعان ما اكتشف سبب طريقتها هذه، لن اسمح لها بالتمادي او التمرد علي، موافق على كل شيء، عنادها، تطلبها، طفولتها، حزنها، سعادتها ... الا عقوقها!

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

بعدا قمت بروتيني نزلت نحو الأسفل، فوجدت الخادمة قد حضرت طاولة الفطور فعلا. استفتحت هي سابقة اياي:

-صباح الخير، انستي

-صباح النور خالتي

اقبل فؤاد فترأس طاولة الفطور وانا جلست على يمينه، القى عليَ نظرة سريعة مشحونة بحنانه لكنها لا تخلو من حزم، ابتسم لي بخفة، ثم ضم كف يدي اليسرى بين قبضته تلكً، احسست بالدماء وهي تتصاعد الى وجهي، فأشعت حمرتها على وجنتاي، فرفعت ناظراي نحوه ابادلها ابتسامته بصدق فاستفتح:
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

-هل نمت جيدا ليلة أمس يا زينوبتي؟

-نعم...

-عمَ صمت ليس بالطويل ونحن نناظر بعضنا بثبات وكأننا نحاول ان نلتقط الكلمات من اعين بعضنا او ربما ننتظر ان تحدث معجزة وتشرع اعيننا بالحديث بدلا عن افواهنا، حتى ابتسم هو بخفة باردة وكأنه فهم شيئا ما!، ثم أردف مجددا:

-تفضلي حبيبتي، تناولي فطورك كله، لا اريد اعذارا

نظرت اليه ببلاهة ثم رددت:

-حاضر

كان فؤاد مع كل لقمة يتناولها، يناولني معه، انه يقوم بتدليلي وهذا سيء جدا لكلانا، حتى تحدث هو:

-بعد انائنا لفطورنا سنرتب حقائبنا، سآخذك الى مكان جميل جدا وهادئ، وسنبقى هناك لبضعة أيام تعويضا لرفضك لشهر عسل لنا معا.

-حقا !؟ هذا رائع!

-واثق من انه سيعجبك جدا، سأتركه مفاجأة ولن أصف لك مظاهره الخلابة.

رددت بحماس:

-ارجوك لا تصفها واتركها مفاجأة كما تقول

- طلباتك اوامر حبيبتي

لا أدرى كيف تغير صفو مزاجي فجأة! خصوصا على كلمة حبيبتي تلك!، وكأن مزاجي سيتحسن فقط ان قام وابرحني ضربا، او ان غادر وتركني مؤبدا وحيدة، أسيرة لقصره. ازلت

يدي من قبضته بسرعة ورحت اعبث بها والامس اصابعي بعشوائية، شردت بعيدا مجددا تحت ناظريه المتعجبين من فعلتي هذه. خفت بشدة من نظراته التي كان يرمقني بها، اما انا فتوترت أكثر فزجرني هو بنبرته المخيفة:

-هل انت بخير؟

-نعم، بخير

-إذا! ما الذي دهاك؟

-لا شيء ... فقط ... انه شيء ...

ظل يناظرني هكذا، حتى بدأت نظراته تلين شيئا فشيئا، وكأنه قرأ ما كان يجول في ذهني، ما لا يمكنني ان اعترف به لا لي، لا لكم ولا له. تنفس بعمق ثم رد ملاطفا اياي:

-اهدئي حبيبتي، كفي عن العبث بأصابعك هكذا، استغفري الله وتنفسي بعمق

لم أرد اظهار ضعفي له فابتسمت ابتسامة عريضة واتبعت:

-لا تقلق، انا بخير، لقد سبعت فقط وانا لن اكل أكثر، الحمد لله

- لن تستقيمي من هنا حتى تنهي كل طبقك

ناظرته برجاء فتغلبت نظرات إصراره على فلم يكن بوسعي الا ان أكمله كرها.

بعد مدة قمنا متوجهين نحو الغرفة مجددا، فقام بمساعدتي في توضيب الحقائب التي سنأخذها معنا حيثما سنقيم هناك لفترة، مع أنى اشعر انها لن تدوم طويلا!

حوالي الساعة الثانية والنصف غادرنا المنزل نحو وجهتنا، كانت الرحلة طويل قليلا فغفوت داخل السيارة بعد مدة، استيقظت على نداءات فؤاد الخفيفة باسمي، تفاجأت بداية، كدت اسأله اين انا، ولكنني والحمد لله استوعبت

-واااو، ما هذا الجمال، سبحان الله!، رائع، مبهر

-الحمد لله انه اعجبك، كنت متيقنا من هذا

نزلت بطفولية من السيارة مبتعدة عنها راكضة بخطواتي نحو ذلك المنزل الصغير اللطيف، فتحت الباب ودخلت، تبعني من بعدها فؤاد حاملا حقائبنا واضعا إياها هناك على أرضية صالة الجلوس.

لقد كان منزلا خشبيا جميلا، من طابق واحد، مكون من غرفتين، حمام ومرحاض وصالة جلوس بطلة سحرية على حديقة بسيطة تحتوي على بركة ماء تحت أحد الأشجار الضخمة. بقيت أتأمل المناظر هنا وهناك وأعلق بهتاف طفولي على كل تفاصيله وهو بقي يقهقه على ردودي ثم أردف:

-حبيبتي، انت رتبي الأغراض وانا سأذهب بسرعة الى المتجر لأشتري بعض الحاجيات ثم اعود بسرعة.

اقبلت نحوي بسرعة معلقة احدى يدبها بكتفي والأخرى تضمني بها، ترد على بضحكتها القاطعة لأنفاسي:

-ارجوك، خذني معك، اريد استكشاف المكان أكثر

رددت متعجبا لوضعيتها هذه التي اراها بهذا القرب مني ولأول مرة:

-لا مشكلة، هيا لنذهب

أطلقت صيحة الفوز الشهيرة بعد ان وافقت، ثم ذهبنا مشيا على الاقدام نحو أقرب المحلات القريبة من هنا.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

اه يا زينب!، ستصيبينني بالجنون! منذ ان دخلنا الى المتجر وهي تحط هنا وهناك، وكأنها نحلة تنتقل من زهرة الى أخرى، انا اركض خلفها حتى كادت ان تقع وتشبثت بأحد الرجل، ما أدى الى توقفها اعتذارها بابتسامتها التي تعتبر من ممتلكاتي انا فقط، وما زادني غيظا مبادلة الرجل لها، فلم اعي على نفسي حتى زجرتها بحدة قبل ان افتعل جريمة في ذاك الواقف هناك والذي فر هاربا بعدما لاحظ رملي نحوه وانا اشتعل غضبا:

-تعالي الى هنا وكفي عن تنقلاتك الطفولية هاته، الم يكفك انني اتبعك منذ ان قدمنا الى هنا؟

تغيرت ملامحها بسرعة، كانت مشرقة، اما الان فيبدو انها هادئة هدوء ما قبل العاصفة، متوترة وكئيبة مجددا، يا ليتني لم ابادر بالصراخ، كشرت ملامحها منتظرة اياي عند زاوية في مقدمة الباب، بعدما انتهيت من انتقاء الحاجيات أخيرا، سألتها بهدوء:

-هل تريدين شيئا اخر

-لا اريد

دفعت من بعدها الحساب وعدنا ادراجنا حيث اتينا، كانت زينب تتجنب محادثاتي وترد على اسئلتي باختصار شديد، ما زاد نوبة انفعالي أكثر، لكنني صبرت وتحملت ولم أرد ان ازيد الطين بلة.

وفي العشاء، جلست على مقدمة الطاولة بعد ان ادينا صلاة العشاء معا، انتظر مجيئها لتناول عشاءها معي، انتظرت طويلا لكن لا وجود لها، استقمت بخطواتي متوجها نحو الغرفة، دخلت
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

فوجدتها جالسة على الاريكة شاردة الذهن تعبث بشعرها، عادت الى وعيها بعد ان هتفت باسمها عدة مرات، نظرت اليَ بهدوء تحاول استفسار ما اريد، فرددت عليها:

-تعالي لتتناولي عشاءك، ان ...

قاطعتني ترد على بصوت عال:

-لا اريد، كل انت فقط!

تفاجأت من ردها الحاد هذا، فاحمرت جفناي من الغضب الذي احتل كل خلية من خلايا جسمي وثارت ملامحي.

دخلت حيثما تجلس هي وأغلقت الباب من خلفي بقوة، تفاهات هي من تصرفي هذا ولم ترد اظهار خوفها الذي كان بارزا في عيناها بعدما رات ملامحي الغاضبة، ادارت براسها نحو الجهة المعاكسة واستطعت ان المح بسهولة امتلاء عيناها بالدموع، لكنني لم أرد افلاتها كي لا ترفع صوتها في وجهي مجددا وكي لا تعصي اوامري.

-أخبريني فقط، هل تريدين الشجار والعراك الان، ما قصتك؟، ومنذ متى وانت ترفعين صوتك في وجهي، عندما امرك، انت تلبين فقط، مثلما انا افعل!

استقامت من مكانها بغضب وهي ترد بنفس درجة علو صوتي:

-هل تريد ان تجعلني خاضعة لك، أُلبِي كل كبير وصغيرة كانت، إذا كان هذا مبتغاك فاعلم من الان انني رافضك لكل اوامرك، كبيرة او صغيرة كانت!

من دون وعي مني، قبضت بقبضاتي القويتان الصلبتان على ذراعيها بقوة كبيرة وكدت أهشم عظامها وانا اناظرها بنظرات مخيفة جعلتها تشهق بفزع، همست لها بهمس يشبه فحيح

الافعى انا اكز على اساني أركز على الحروف وكأنني اريد ان اغرس كلماتي في اذنيها:

-هل انت متيقنة مما تقولينه؟ هل تريدين ممني ان الجأ الى استعمال القوة؟ هل تريدين رؤية وجه فؤاد الحقيقي؟ هل تريدين ان اعاملك بطريقتي الجافة؟ اجبي لا تبقي صامتة هكذا، هيا اريني جرأتك يا سيدتي!

تحدثت بطريقة مخيفة وفي كل كلمة اقولها كان مستوى صوت صراخي يعلو أكثر فأكثر، اما هي. زينب، فالهلع كان يبدو على ملامحها، لم أكن اريد ان اعاملها هكذا، او ان اجعلها تتفحص كل حركة قبل ان تقوم بها، اردت بداية ان اجعلها حرَة، لكن يبدو ان الحرية لا تلائمها ولابد ان الجأ الى هذ النوع من المعاملة أحيانا حتى اضبطها عند حدودها.

-حسنا، اعتذر، اتركني من فضلك، انت تؤلمني!

بعد ان تركتها، امسكت ذراعيها بألم، وجلست على حافة الاريكة تلتمسهما، وفي نفس الوقت تتجنب نظراتي، غادرت من بعدها الغرفة ومن بعدها المنزل، فاخترت لنفسي ركنه عند امام الباب لأنه ليس بقدرتي الابتعاد عنها وتركها لوحدها كليا.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

لقد كان موتي وشيكا، قررت ان اعتذر قبل ان يهشم عظامي بين كلتا قبضتيه، تركني وخرج من الغرفة، واظنه من المنزل كليا، حاولت ان لا أبدو كما كنت اشعر ونجحت فعلا. لست اتحدث عن الخوف، بل احساسي باني فقدت كل شيء مجددا، فارغة ووحيدة، لكنني لن أحاول! لأنني على دراية ببقائي وحيدة الى الابد، جلست على الاريكة واستلقيت على ظهري، أفكر وأفكر،
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

انتابتني رغبة مفاجئة في الهرب من هذه الأفكار. كيف يمكنني الهرب من كل شيء؟ يؤلمني قلبي كثيرا، وهذا الألم لن ينتهي حتى انتهي! والغريب انني لم ادخل هذه المرة في أي حالة من حالاتي الهستيرية، لم ابكي، ولم يغمى عليَ أيضا، متأكدة تماما انني تأقلمت، أولا مع معيشتي القاسية، ثم مع خالي والان مع تعقيد فؤاد. لم اعي على نفسي حتى غططت في نوم عميق.

## صباح اليوم التالي

استيقظت متأخرة كالعادة، قمت بروتيني الاعتيادي ثم توضأت وصليت الفجر، خرجت بعدها من الغرفة متجهة نحو المطبخ، وجدت فؤاد جالسة على الاريكة في الصالون، يقلب قنوات التلفاز متجاهلا اياي تماما، وجودي من عدمي نفس الشيء!

اخذت ووجبة صغيرة اسد بها جوعي وأفكر في طريقة أجد بها راحتي مجددا، وليس هناك أي طريقة سوى ان لا نبقى في مكان نلتقي فيه بسهولة، وكما قلت اريد ان ابتعد عن كل شيء، ما ان انهيت وجبتي حتى توجهت نحو الصالون، جلست مقابلة إياه تماما فتحدثت مباشرة:

-لا اريد البقاء هنا، اريد العودة الى المنزل

تجاهلني مجددا ثم اتبعت بعتاب وغضب طفيفين:

-ان اضطر الامر سأغادر لوحدي

ناظرني لمهلة وكأنه يعاتبني ويلومني، ثم استقام من مضجعه تاركا اياي اصارع غضبي المكبوت، فاجأني بعد مدة وهو يحمل حقيبته بين يديه ووضع حقيبتي امامي.

ماذا تنتظرين، ارتدي ملابسك والحقيني، لن انتظرك سوى 5 دقائق

فعلت ما أمرني به، ولحقته الى السيارة، احسست بالإحباط الشديد، لكن ما عساي بفاعلة، انا من طلبت ذلك ولا اعلم لما أحس انني لن اعود الى هذا المنزل الرائع مجددا.

وصلنا بعد 3 ساعات من الملل الشديد والتعب والكلل، استقبلتنا الخادمة بتفاجؤ فهي لم تكن على دراية بعودتنا اليوم، إضافة الى اننا غادرنا المنزل بالأمس مساء وعدنا اليوم!؟، فهلا احرجت من تصرفي هذا وتضايقت كثيرا وانا الحظ همسات الخادمات من بعدي.

توجهت بسرعة الى غرفتي الخاصة في الطابق الثاني، من ذلك القصر الضخم، أغلقت الباب من خلفي ورحت اجلس على سريري. صراحة! لا اشعر انني بخير، أحس وكأنني سأنهار في أي دقيقة من اليوم لذلك، اخترت البقاء في غرفتي وعدم الخروج منها حتى اهدا نفسيا او بالأخرى، حتى لا اسبب كارثة.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

## بعد أسبوعين

لا اصدق انها طفولية لهذه الدرجة، عبدة جدا، لدرجة انها لا تخرج من غرفتا تجنبا لملاقاتي

المهم!، تفاهمنا انا وزينب على ان تعود لعملها بعد شهرين من الزواج، لذا حضرت لها مكتبا واسها جميلا، ملائما لذوقها، بجانب مكتبي تماما، وبينما انا منشغل رن هاتفي الذي كان يحمل اسم ابي على شاشته، رددت بسرعة:

-السلام عليكم

-وعليكم السلام يا ابي، كيف الأحوال؟
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

-الحمد لله بخير، وأنتم؟ كيف حال زينب وهل تأقلمن مع حياتها الجديدة؟

-الحمد لله نحن بخير

-يا أولاد، اشتقنا لكم، وأمك تستمر بالتذمر على اشتياقها لكم، لذا ان كان بالإمكان، دعتكم لزيارتنا ما ان سنحت لكم الفرصة.

-ان شاء الله، كنت اخطط لهذا لكن الوقت ضيق ولم تسمح لي الفرص فانا منهك جدا من العمل، أخبرها ان لا تقلق، سنزوركم قربا بأذن الله.

-الباب مفتوح متى ما اردتم، اهلا وسهلا.

لم تكن المكالمة طويلة وفور انهائي للمكالمة عدت الى التدقيق في تصميم المكتب مجددا، ومن ثم الى القاء نظرة على اعمالي المتبقية ان كان باستطاعتي السفر الى بلادي مجددا تلبية لدعوة امي لنا، وبعد مدة ليست بالطويلة، اتصلت بي زينب، وهذا اخر شيء كنت أتوقع حدوثه وياء للهول!

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

هذا الأسبوع تحملت أكثر من اللازم، منهكة دون سبب يذكر، رغبة مفاجئة في البكاء، ذكريات لا حسن فيها يروى، توقعات سوداوية، أفكار محبطة دون سبب.

استيقظت صبيحة هذا اليوم بحالة سيئة جدا، صداع طفيف في رأسي، ضيق في تنفسي، قرأت المعوذتان وبعضا من اذكاري فهدأت قليلا، قمت بروتيني بتكاسل شديد، نزلت الى الأسفل فتناولت فطوري ثم عدت الى غرفتي مجددا، جلست على حافة السرير شاردة الذهن، فانفجرت باكية فجأة، لم أُرِد إيقاف
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

دموعي وادعاء الثبات فقد خرت قواي حقا، بداة نوبات التنفس والاختناق تهاجمني وتتبع بكائي، وخشية من حدوث شيء سيء، اتصلت بفؤاد بسرعة وتجنبت اخبار الخادمات كي لا يتركوه مجالا او موضوعا يسدون به أوقات فراغهم.

حدثته على الهاتف بصوت باك:

-فؤاد، ارجوك تعال بسرعة، انا لست بخير.

فرد عليَ بصوت مرتفع قلق:

-زينب! ماذا يحدث معك؟ لا تبكي، لا تقلقي، انا قادم بسرعة

-ارجوك لا تتأخر

قطع الخط ولم أجد راحتي الا وانا ملقاة على الأرض فلربما بدأ يخف الصداع قليلا، بقيت ابكي وفي نفس الوقت اشعر بوجهي وهو يحترق من الحرارة، ربما مصدرها نوبات الاختناق.

افقت بغير وعي، ففتحت عيناي بتثاقل تحت ارتطام شيء ثقيل، انه صوت ارتطام باب الغرفة بالجدار، لمحت فؤاد وهو يقبل نحوي، لقد كان يبدو قلقا جدا، متعصبا، خائفا، استقمت بجزئي العلوي من على الأرض، اتنفس بسرعة شديدة، ودموعي تتهاطل دون سبب يذكر.

امسكني فؤاد من ذراعي يحاول تثبيتي وإيقافي على قدماي، لكن لا جدوى فقد انهرت مجددا على الأرض.

-لا تخافي واهدئي، لقد اتيت، انا هنا، انظري الي يا زينب، لم يحدث لك شيء وها انت بخير، فقط تماسكي قليلا، افعلي ما سامرك به وستهدئين، هيا يا حبيبتي، استغفري!

**ظل فؤاد يهدئ من روعي ويمطر على بكلماته الحانية، يأمرني بالاستغفار ويشجعني على التماسك. اهنئه! لقد نجح بتقدير جيد جدا!**

**بعدما هداة قليلا، ساعدني على الاستلقاء على السرير، خرج هو من بعد ذلك، اما انا فبقيت شاردة، تخونني دموعي واحدة تلو الأخرى، بعدها عاد هو مجددا وفي يده صينة صغيرة، جلس متجاورا اياي على طرف السري فتكلم:**

**-لا تبكي يا حبيبتي، اخبرتك بهذا مسبقا، اخبرتك ان تبقي سعيدة دائما!، ستزول عنك هذه المعضلة بأذن الله، وستعودين لحالتك العادية، ستعودين بأذن الله الإشراق البهي يا زنوبتي.**

**لا رد , فقط ناظرته بعتاب لم يفهمه , و كأنني الومه و اجعله السبب , عدت لبكائي مجددا , ناظرني بنظراته الحانية باهتمام , فامسك بيدي بين قبضتيه القويتان يحن عليهما و يمسح على شعري في نفس الوقت , قربني اليه بعدكما اعتدل بظهره على السرية واضعا رأسي على صدره , يقرأ علي بعضا من آيات القران الكريم و يرقيني , هدأت تماما فقد كان صوته يبعث في نفسي راحة , طمأنينة و سكينة لا مثيل لهم , رفع راسي اليه مجددا وراح يبتسم لي بحنية , اقترب بوجهه من وجهي بهدوء , و هو يحاول تشتيت انتباهي , قبلني فجأة و بسرعة بحنانه الجارف فلم يكن لي ا الا ان هربت بوجهي و انا اشعر بالحرارة و هي تنبعث من وجهي , تصاحبها حمرة شديدة على وجهي .**

**ابتسم لي بحنية بعدها ولم أكن لأبادله لولا انه نظر الي نظرة يقصد بها (طفلة مدللة) فابتسمت رغما عني. كأني من بعدها شحنت طاقته مجددا، رفع الصينية بنشاط كبير من على السرير، واخذ يناولني بعضا من الفواكه الطازجة، رغبة منه في رفع مستوى السكر في دمي، وياء ليته يفهم انني لا اريد رفع**

**مستوى السكر في دمي، بل مستوى الامل في قلبي، مستوى معنوياتي، ان اجبر خاطري، فقد اشتقت لفترة من حياتي كنت فيها بخير! ابتسم لابي بعفوية بالغة، اتعارك مع امي ثم نعود مجددا، ابتسم وانا اعتني بأخواتي والعب معهم، ليتني أستطيع اخباره انني اريد ان اختفي الى الابد من هذا العالم الموحش او ان أفقد ذاكرتي وابعث من جديد كشخص لا يمت باي صلة لأي أحد، ان اذهب الى عائلتي، ان الحق بهم، فانا لم اعد قادرة على مواجهة هذه المصاعب لوحدي. المصاعب التي ما زالت في بدايتها!**

## في المساء

**بعد استيقاظي من غفوتي، كنت في مزاج جيد جدا، استحممت وخرجت اجفف شعري بالمنشفة، وجدت ان فؤاد قد قام بترتيب الفراش، لكن لا وجود له في غرفتي، جلست انتظره، لكنه لم يعد، صعدت الى مكتبه الخاص في الطابق العلوي، طرقت الباب فسمح لي بالدخول.**

**دخلت وبقيت اناظره بهدوء بينما كل تركيزه كان على الأوراق التي بين يديه.**

**مرت مدة وانا جالسة بنفس الوضعية، أخيرا تحرك هو معلنا عن انتهائه من عمله، استقام من مضجعه مغادرا مكتبه كليا. خفت في البداية فقد ظننت انه ما زال ينوي مزاولة الشجار فخرجت تابعة إياه الى غرفتنا، دخلت وأغلقت الباب، ناظرته بتوتر فاسترسلت الحديث:**

**-أ لم تسامحني بعد؟**

**نظر فؤاد الي بنظرات محملة بالخبث والانتصار ثم رد:**

-لم تعتذري بطريقة رسمية ترضيني بعد؟

ناظرت بعناد ثم رددت بكبرياء مديرة وجهي للجهة المعاكسة

-حسنا ... انا اعتذر لقد كنت مخطئة ... ولم يكن من حقي رفع صوتي. في وجهك، هل هذا الاعتذار كاف؟

قهقه فؤاد بضحكته الرجولية تلك , ثم بدأ يخطو بخطواته نحوي حتى وقعت بخفة على طرف السرير , بقيت اناظره بدهشة و انا ارجع بجزئي العلوي للوراء مبتعدة عن وجهه الذي يقربه الي حتى التصق ظهري بالفراش و لم اجد مهربا , اقترب مني حتى اختلطت انفاسنا ببعضها البعض , نعم , أنفاسه الحارة تلك كانت تحرق وجهي , بقي يناظرني بشغف وانا لم استطع إخفاء رهبتي و خجلي و هو في الاصل باد على وجهي , نعم حركاتي المضحكة تلك حتى انفجر ضاحكا بشدة على ردة فعلي هذه , استغل الفرصة و اخذ يدغدغني , حتى ان صوت قهقهتي العالية وصلت الى مسمع الخادمات بالأسفل.

## بعد ساعات

جلس كلانا على السرير بعدما ادينا صلاة العشاء معا، فاستفتح فؤاد الحديث بحنان قائلا:

-لقد تم دعوتنا من طرف والداي لعشاء عائلي، امي تتذمر باشتياقها لنا وهي تريد منا العودة الى البلد.

-تمازحني صحيح ؟؟

-ولما قد امزح؟، يجب علينا الاستعداد غدا، سنعود لمدة ليست بالطويلة وسنستقر شقتي الخاصة لغاية انتهاء الزيارة.

!هذا رائع!، يا لسعادتي-

:ثم اتبعت بطفولية قهقه بصدق من بعدها

لا تقلق، سأحرص على الاستيقاظ باكرا ولن اسبب لك- .الازعاج

استلقينا على السرير بعدما تبادلنا احاديثا عشوائية، ظل يتكلم جاذبا انتباهي ولم اعي على نفسي حتى غططت في نوم عميق، لم استشعر من بعده الا تلك القبلة الحانية التي .طبعها على جبيني مغطيا اياي جيدا

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

## بعد 12 يوما

وصلنا الى المطار أخيرا، لقد كنا سعيدين جدا وحبيبتي الصغيرة كانت في غاية الحماس للقاء جدتها وجدها بعد هذا .الغياب الذي يم يكن طويلا بالنسبة لي

وجدنا السائق في انتظارنا فأقلنا الى منزل عائلتي حيث رحبوا بنا ترحيبا حارا يليق بغيابنا الطويل. اجتمع كلا من .اهلينا ولا أنكر ان الأجواء كانت في غاية البهجة والسرور

توجهت انا نحو الصالون الكبير حيث كان الرجال جلوسا، اما زينب فلم ارها منذ ان كانت تتعاند مع اختي رقية في .الرواق الكبير

المهم، عند دخولي الى الصالون لمحت زوج خالتي وابنه مروان هناك فاستقاما ورحبا بي ترحيبا لائقا، بعدها اخترت مكانا لي بجانب حسام وابي، وظللنا نتبادل مختلف المواضيع. لكن !؟ وجود زوج خالتي وابنه هناك يدل حتما
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

على وجود خالتي هنا، واظن ان زينب لا تحتمل كلام تلك المرأة ولا عقليتها.

## في المساء

بعد ان تعشينا جميعا، اخترت المغادرة الى شقتي فقد كنت منهكا أصلا من السفر، دلفت الى الصالون بعد ان طلبت الاذن

السلام عليكم-

وعليكم السلام-

هيا يا حبيبتي، لقد تأخر الوقت ويجب ان نغادر.-

نظرت الي بنظرات غريبة، لم ارها من قبل، ولم استوعب معناها، اعادت بنظرها نحو خالتي التي كانت تناظرها بحسد ثم ردت بابتسامة احسست بسهولة انها مزيفة

انا قادمة-

غادرنا بعد ان ودعنا الجميع، واثناء قيادتي كنت أحاول فتح مواضيع مختلفة، وما كان يهمني ان اتحدث معها او ان اجعلها تتفوه ولو بكلمة مطمئنة، لكنها كانت ترد على باختصار متجنبة النظر الي تماما، نظرات تلقائية وردأت فعل غريبة اثارت فضولي بشدة:

هل انت بخير؟-

ردت بهدوء:

بخير-

ولماذا انت هادئة هكذا إذا؟ أحس أنك غريبة اليوم-

**!لا لست كذلك، انا فقط ... أفكر-**

**في ماذا؟-**

**:نظرت الي بحدة ثم ردت بوقاحة**

**!لا شأن لك بي-**

**صعقت من ردها ذاك، لم يمض اسبوعان على اخر شجار لنا واظن اننا سنتشاجر مجددا، ناظرتها بحدة، نظرات مخيفة أربكت ردها الحاد ذاك ثم اتبعت الحديث بعصبية:**

**!حسابنا في المنزل وليس الان-**

## بعد مدة في الشقة

**بعد عودتنا، لم استفتح الشجار مباشرة، بل قمت ببعض الاعمال التي كان من اللازم على تسويتها، ثم عدت الى غرفتنا حيث كانت زينب جالسة على الأرض وظهرها مستند على الجدار، شاردة تماما، بل غائبة عن العالم الواقع، محلقة في خيال اخر ولا ينبغي على لن أقول خيالا، .اظنه بحرا من الهموم التي لا نجاة منها**

**زال غضبي بمجرد رؤيتي للحزن الذي يسكن عيناها، خطوت بخطواتي نحوها فجلست بجوارها مباشرة متكئا على الحائط وبنفس وضعية جلوسها، ناظرتها عن قرب وهي تتجنب النظر الى عيني مباشرة، احطت خصرها بذراعي الأول ووضعت كف يدي الثاني على راسها، مسد عليه بحنان، تزامنا مع تصاعد الدموع في مقلتيها الجذابتان، سرعان ما وضعت راسها على مرفقيها**

المربوطان فوق ركبتيها التي ضمتهما الى صدرها، صدقا!، كانت منزعجة وحزينة بشدة! على ماذا؟ لا أدرى، ولكنني اريد ان اعرف بشدة!

هل هناك ما يزعج زينوبتي الى هذه الدرجة؟-

لا رد-

هيا ردي على ولو بكلمة-.

ارجوك يا فؤاد لا تحدثني، اريد البقاء لوحدي-.

لا يمكن!، لا أستطيع تركك هكذا، حزنك هذا يربكني،-- يحزنني ويقلقني، أ لم تفهمي بعد ان سعادتك من سعادتي وحزنك من حزني !؟

رفعت راسها فلمحتها تضحك بسخرية مريرة على تعليقي ذاك، ادارت راسها نحوي وعيناها محمرتان من البكاء، لكن هذه المرة نظراتها ذكرتني بأول مرة التقيتها بها، اجل!، لقاؤنا الأول، لقاء عينانا الأول ووقوعي الأول والأخير في شباك حبها، نعم!، نظرات قوية لكنها بريئة، ارها الان تماما كنسخة عن اول يوم رايتها بها، قاطع شرودي ردها:

سأفضفض لك، لكن أولا، عدني أنك لن تثور ولن تغضب- علي.

اندهشت لكنني سرعان ما اتبعت:

حسنا، هذا وعد-

قبل زواجنا , كان هناك اقلية من الأشخاص ضدي , اقربهم- الي خالي و زوجته , لكنني لم اعر الموضوع اهتماما كبيرا لتلك الدرجة على الرغم من كل ما عانيته معهم , لكن بعد

زواجنا اصبح الجميع ضدي , كل شيء ضدي و يقف في وجهي و كأنني الخطأ و العائق الوحيد في حياة الجميع , اشعر و كأنني اخسر كل شيء , اخسر الجميع حتى انني ... ,لم اعد أتذكر اخر يوم كنت فيه سعيدة بصدق , و السبب هو انت ! , نعم انت يا فؤاد , احس و كان قلبت موازين حياتي راسا على عقب , افضل لو انني بقيت تحت تعقيد و قسوة خالي على ان ينفر مني الاخرون , على ان انبذ و اجلس مركونة لوحدي في التجمعات و كل ما اسمعه عني هو كلام ازدراء , على ان اتلقى عتابا غير مباشرا , على ان يعايرني الجميع بان الحياة التي اعيشها معك هي مجرد شفقة لا اكثر . نعم، ومعهم الحق في هذا!، والمشكلة الأكبر ان هذا لا .-شيء، لم يبدأ شيء بعد .....-لم تكمل

قمت من مكاني بهمجية وغضب عارم، ناظرت القابعة امامي بنظرات قاسية لا اظنها وصلت لأي قسوة عاملتها .بها من قبل

كيف!؟، وهبتها الحياة التي تتمناها أي امرأة أخرى وهي الان تلومني وتقلل من شأني ورجولتي بكلامها اللاذع هذا. لم أرد الرد عليها لأنني أولا وعدتها وثانيا لو بدأت فسينتهي الشجار بنهاية لا احبذها او ربما اسوء من ذلك، خطوت بخطواتي خارجا من الغرفة ومن ثم مغادرا المنزل كليا، الى أي مكان اخر بعيد عن هنا، الى مكان أفرغ بها .زوبعة الغضب التي تجتاحني

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

غادر فؤاد بعدما سمع كلامي الموجه نحوه , اما انا فتعيسة جدا, كما لم ابلغ أي درجة منها من قبل , محبطة جدا , تمنيت أشياءً و تأملت اشياءً , لكن يا اسفتاه , جاء كل
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

شيء مختلفا كما لم اخطط له من قبل وهذا يؤلمني كثيرا , لدي رغبة عميقة في الهرب , الهرب بعيدا فوجودي من عدمه نفس الشيء , لا احد يحس بي و لا احد يلحظ انني اخوض معركة مع نفسي منذ اشهر , بل سنوات طويلة عنوانها الحياة , حقا اشتقت لفترة من حياتي كان فيها ابي هو سندي الوحيد , اشتقت لنفسي القديمة التي ملؤها البشاشة و العفوية , اشتقت لموت انا اتمناه من أعماق قلبي , حتى و انا كان اليأس لا يليق بأرواح المؤمنين , لكنني ذقت ذرعا من كل ما حولي , حتى و انني اغرز انكساري في قلب ذلك الذي يحقق كل متطلباتي , ذاك الذي هو ضحية لبؤسي , و الذي لولاه لكنت في حالة اسوا منذ مدة طويلة , ولذلك لا بد لي من الابتعاد عن كل شيء , وخصوصا هو , فانا لا اريد ان اراه محطما مثلي او ان يذوق مرارتي فهو يستحق كل الخير , يستحق ان يعيش حياته كاملة دون مناوشات لأسباب غبية , يستحق ان استشعاره قبل ان اراه سعيدا و مسكينا , لذا !...

## صباح اليوم التالي

استيقظت باكرا فلم أجد فؤاد في المنزل، يبدو انه لم يعد الى المنزل بعدما حصل. قررت وفور عودته الى المنزل ان أخبره بان يصطحبني الى منزل جدتي.

كسرت الانتظار ببعض الاعمال المنزلية، ثم جلست اتفرج على بعض القنوات التلفزيونية، مرت الثواني والدقائق والساعات، ولم يعد بعد، بقيت في انتظاره حتى سمعت الباب يغلق، استقمت من مضجعي بسرعة وهرولت اليه.

تحدثت بسرعة وتلعثم:

.اريد الذهاب الى منزل جدتي-

ناظرني فؤاد ببرود وقسوة، بنظرات لا مشاعر تحملها، أكمل بخطواته اتجاه الغرفة بعدما خلع حذاءه متجاهلا اياي، فاتبعت بصوت شبه مرتفع جعله يستدير نحوي رابطا يداه :نحو صدره

.قلت لك انني اريد المغادرة الى بيت جدتي

ومن منعك، اذهبي! الباب امامك وإذا اردت مني افتحه لك- .وان أسهل عليك المهمة فلا توجد مشكلة في ذلك

رمقته بهدوء شديد والمرارة بدأت تكتسح نظراتي، فهمت !من كلامه انه يريد من المغادرة لوحدي، نعم، لا مشكلة

انتظرت خروجه من الغرفة بعدما غير ملابسه الى ملابس رياضية ومن ثم خرج من المنزل، استقمت من مكاني بهدوء وتوجهت الى الخزانة اخرج منها حجابا وخمارا واخذت بحقيبة صغيرة الحجم ووضعت فيها بعضا من الملابس الأساسية التي .احتاجها لأنيي أحس ان البقاء في منزل جدتي سيدوم طولا بعد

غادرت الشقة ولم انتقي سيارتي لأنه هو من اهداني إياها ولا اريد الان أي شيء هو ملكه، اخذت بخطواتي نحو أحد سيارات .الأجرة بعدما مشيت طويلا فتوجهت بها نحو وجهتي

استُقبِلتُ بسرور وسعادة وبعد مدة اخذت أرتب ملابسي في الخزانة وأهوى غرفتي التي لم تفتح منذ ان سافرت الى الخارج، جلست شاردة على طرف السرير وملايين الأفكار تدور في راسي، أولها: لن أخبر جدتي بما حصل!، بعدها غادرت غرفتي متوجهة نحو المطبخ لا ساعدها في أي شيء، او بصدق لانتشل نفسي من العتمة التي غرفة فيها وكذا من تفكيري الذي يركز .فقط على فؤاد

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

بعد عودتي الى المنزل، كان ساكنا، ما اثبت لي ان زينب غادرت فعلا، جلست في الصالون اناظر العدم، انا لم افعل لها شيئا ولم اوْذها حتى تكرهني بهذه الدرجة، او تنفر مني، اعطيتها كل شيء، ما تتمناه، اساعدها كي تستجمع قوتها وتنجو من غرق مرضها النفسي، اخفف عنها وادعمها بكل ما اوتيت من قوة، اما هي فتقابل كلامي في كل مرة اما بالسخرية او بغرسها لشظايا انكسارها في قلبي، ولا اظن انني سأحتمل أكثر.

بعد 5ايام قررت ان أزورها في منزل جدتها كي اطمئن عليها وكذا كي لا اجعل الشك يتسلل الى ذهن جدتها بعدم زيارتها مدة أطول، ولا اكذب ان كل همي كان ان اطفئ لوعة فؤادي المشتاق اليها فانا لم احتمل هدوء المنزل بعد غيابها وكأنها كانت المخدر الذي تجرعته مسبقا وفعلا ادمنته.

طرقت الباب فاستقبلني جدها بحرارة وتوجه بي الى الصالون. جلسنا نتبادل أحاديث عشوائية لم أكن طرفا فيها فانا قليل الكلام بطبعي، اقبلت الجدة تحمل صينية العصير واضعة إياه على الطاولة، ناظرتها باهتمام فاسترسلت:

اين زينب؟-

ردت الجدة بطريقة احسست بها وكأنها مجبرة على الكذب:

نائمة في غرفتها-.

رددت اسألها بثقة:

نائمة في هذا الوقت !؟-
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

:رد خالها مقاطعا هدوءها

.لقد كانت مستيقظة قبل ان يُطْرَقَ الباب-

ادرت بناظري حول الغرفة بغضب وانزعاج شديدين حتى وقعت نظراتي على جدتها، بقيت احملق فيها حتى اعترفت:

انا لا علم لي، هي من اجبرتني على اخبارك انها نائمة، لا اعلم- السبب أيضا.

:استقمت من مضجعي فبادرت

.اريد الحديث معها-

.بالتأكيد، تفضل-

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

جالسة فوق سريري ضامة قدماي الى صدري حتى سمعت صوت طرق الباب وبدأت دقات قلبي تتسارع تزامنا مع علو قوة الدق على الباب خوفا، هل اكتشف أنى مستيقظة؟، التقطت اذناي صوته الحاد من وراء الباب:

.افتحي الباب اريد الحديث معك-

تذمرت قليلا ثم هرولت نحوه افتح الباب، دخل غرفتي وبقي واقفا اما انا فجلست على حافة السرير اناظر العدم بشرود.

:ماذا إذا يا سيدتي؟ صمتت برهة ثم رددت-

... لا شيء-

إذا ما حالتك هذه؟ ذابلة، يائسة، ومحبطةّ! هل بدأت اعراض- الجنون تظهر ام ماذا؟
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

ناظرته مبتسمة بسخرية ثم رددت:

-جننت ام ماذا !؟ ربما نعم وربما لا.

-لقد تحملتك انت وجراتك أكثر من اللازم ولابد ان اغير من دلالي
!هذا لك، لا بد ان اضع حدا لعقليتك وطيشك هذا

صمتنا برهة نتبادل النظرات وكأننا لا نريد ان يحدث بيننا كل ما نحن عليه الان ونحن بالفعل لا نريده، رددت باقتضاب:

-اريد الطلاق!

حملق في فؤاد بعيناه ووجهه اللذان احمرا من شدة غضبه، اقبل نحوي بعدما وقفت وبدا يخطو بخطواته نحوي حتى ارتطمت بالجدار، رفع يده بنية ضربي فوقعت لكمته تلك على الجدار بينما عيناه الغاضبتان ما زالتا مركزتان في عيناي الذابلتان.

-ارتدي ملابسك، سنعود الى الشقة، بسرعة!

صرخت فيه ودموعي قد بدأت بالانهمار بغزارة:

-لا اريد الذهاب معك، اريد الطلاق!

-ابدا، لن أطلقك، لن تخرجي من ذمتي ابدا الا إذا كانت اخر انفاسي قد زُهِقت، او ان اخر ذرة من روحي قد عادت الى خالقها، حينها فقط ستكونين حرة، وإذا اردت ان تفقدي عقلك، فافعليها من فضلك، ربما حينها يمكنني مسايرتك أفضل من الان!

ناظرته بنفاذ صبر دون حراك حتى لمحته يفتح خزانتي ويجمع ملابسي داخل تلك الحقيبة الصغيرة، فزجرني بصوته الحاد:

-بسرعة والا...!

نهضت من مكاني بسرعة، ارتديت حجابي وخماري بعشوائية، ونزلت الى الأسفل. وجدت ان فؤاد قد غادر بالفعل، نظرت الى جدتي بتأنيب وهممت اتابعه.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

## بعد ساعتان

إذا كنتي حقا لا تطيقين وجودي الى جانبك، ولا تريدين رؤيتي مجددا، إذا كنت حقا انا السبب الذي قلب موازين حياتك راسا على عقب، فلن أطلقك ابدا، لكنني سأسافر بعيدا، سأغادر واترك لك كل شيء، الشقة، السيارة، المال، وستبدئين العمل قريبا جدا، سأحقق لك ما ترغبين به لكن حياتك من دوني بعد الان، انت حقا ... فقدت كل شيء الان!

لاحظتها وهي شاردة والمرارة تعود الى عيناها مجددا، وكأنها ليست المتحكمة بنفسها، تقول وتفعل ما لا تريد ثم تجلد نفسها بسياط الندم، وهل يفيد الندم في الأخير !؟

أخرجت حقيبتي الكبيرة ولممت فيها كل ملابسي وادواتي الخاصة، لم اترك ولو اثرا واحدا او ذكرى لي لها في تلك الشقة، بينما هي فظلت قابعة مكانها ولم تحرك لا راسها ولا جسدها، بل عيناها فقط ظلتا تتبعان حركاتي بدقة، ردها الهادئ هذا دليل على رضاها.

استدرت حاملا حقائبي بعدما أجريت عدة اتصالات مهمة للسفر، وغادرت المنزل كليا وقد قررت بالفعل ان هذا المنزل لا حياة فيه، والابتعاد عن بعضنا أفضل لكلينا.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

تفاجأت من رده المعجز هذا، فأنا على الرغم مما افعله الا انني لم أرد ان اراه بعيد عني وهو لم يطلقني حتى، بل تركني معلقة هكذا ومحاصرة بين ندمي وبين ذكراه الساكنة بقلبي. اعلم أنى كنت وزنا ثقيلا جدا عليه وانني أخطأت في حقه مرارا وتكرارا، ولن الومه على فعلته ابدا، فربما كانت هذه هي عقوبتي التي قد تجعلني اعود الى الطريق والحياة يوما، او ربما ستكون ولادة جديدة لنفسي القوية، ربما سأرمم شظايا انكساري واجعلها صلبة قوية، ربما ستكون انتشاله لي من ذبولي وقد لي الله ان أزهر من جديد.

## بعد أسبوعين

استيقظت اليوم باكرا لتأدية صلاة الفجر بعدها عدت الى النوم مجددا , ثم استيقظت مجددا حوالي السابعة صباحا لأذهب الى عملي , باشرت العمل منذ 5 أيام مضت لكن ليس في الشركة الأولى , شركة فؤاد , بل بدأت مشروعا جديدا لفتح مدرسة خاصة في تعليم اللغات الأجنبية و الدروس التدعيمية حتى انني غيرت المنزل و انتقلت الى اخر استأجرته بمالي الخاص , اعمل بجهد ككل مرة لكن تركيزي ليس على ما اعمله , ففؤاد لم يتصل بي منذ ان غادر الشقة اخر مرة , انقطت اتصالاتي من بعدها عن رقية و كذا والدته و اظنه ق اعلمهم عن سوء علاقتنا التي أدت بنا الى ما نحن عليه الان لذلك اخترت العمل في مكان بعيد عنهم , في مكان أكون انا من بدا في بنائه كما ابني نفسي من جديد .

وفي اليوم الموالي قررت زيارة الطبيب لأراجع الفحص العام فانا لم ازر الطبيب منذ فترة طويلة، خصوصا هذه الأيام فانا اشعر بتثاقل شديد واعراض أخرى لم اشعر بها من قبل.

.عفوا، هل انت زينب شاكر-

:ابتسمت لها ثم رددت

.نعم-

.الطبيبة تناديك-

دخلت الى غرفة الفحص فجلست على الكرسي بعدما أمرتني الطبيبة وبدأت تقرا التحاليل التي اظنها صدرت لتوها:

!انت حامل-

ماذا !؟-

نعم يا انسة وقد صدر أيضا في التحاليل نقص طفيف في- الهيموغلوبين، يمكنك ادراكه ببعض الأغذية الصحية، اما .عن حملك فيجب عليك مراجعة طبيبة خاصة

انصدمت من هذا الخبر الذي لم أكن اتوقعه ابدا، فرحت بشدة لكنني في نفس الوقت كنت حزينة، فلو كان فؤاد الان موجودا لكان طار فرحا بهذا الخبر الذي كان ينتظره على أحر من الجمر، لكنني لن أخبر أحدا، حتى احقق ما ارغب به، اجل لن اعود الا وانا امرأة حقيقة قد تركت اسوء حالاتها وايامها خلفها، لن اعود له الا بعد ان أدرك انني لن اطعنه بخناجر خذلاني تلك، حتى أتأكد انني سأكون امرأة .تفتخر بنفسها وكذا هو سيفتخر بي مجددا

زرت جدتي مساء اليوم، واخبرتها عن الخبر الأخير وكم كانت سعيدة على الرغم من انها كانت مريضة بشدة والححت عليها ان تبقي السر بيننا مبررة لها، وقد قبلت بعد .عناء طويل

## بعد 8 أشهر

لم يعد فؤاد , و ها انا ذا اجلس وحدي كالعادة , أقوم ببعض الأمور بصعوبة خصوصا في ظروف الحمل هاته , حقا كان جادا هذه المرة , 9 اشهر تقريبا و لم اتلقى و لو اتصالا واحدا , و كذا لم يسأل عني , اردت بشدة ان يتصل و ان اعتذر له بشدة عن اخطائي و عن كل ما اذيته و جرحته به , ان اخبره ان فتاة جميلة قادمة لتكون ابنتنا الأولى , اجل , صبية منحها الله لنا هدية ونورا , وهل هناك اجمل من هدايا الاله , هل هناك اجمل تعويضات منحنا الله سبحانه و تعالى لنا بعد طول عناء و مرارة كان ذائقها كلانا حتى أدت بنا الى ظلمة لن ينيرها سوى هذه الهدية القادمة , اجل ! , سأسميها نور .

اردت بشدة ان لا يفوت ولادة طفلتنا الأولى، وكم أتمنى ان تحدث تلك المعجزة التي لن تحدث ابدا، لأنني على دراية شديدة انه لن يأتي لأنه لا علم له.

عملت جاهدة للتخفيف من على نفسي والحمد لله نجحت، وحالتي الغريبة تلك انعدمت تماما وغادرت، بل ان رغبتي في التخلص منها، واولا توكلي على الله قاداني الى هذا النجاح. نضجت حقا!، لكنني الشاهدة الوحيدة على نضجي، لم يكن لي رفيق حتى انني تعلمت دروسا عدة، دروسا لا تشترى ولاتباع بالمال، وكذا لا تدرس في أي مكان إذا لم تذق المها.

---

## بعد شهرين تقريبا

ها انا ذا ارتدي حجابي وخماري بعدما البست حبيبتي الصغيرة نور ملابسها الدافئة حتى لا تصاب بنزلة برد على الرغم من ان الجواء دافئ، وكم أخاف عليها!، تمنيت ان تكون ابنتي نسخة عن والدها لكنها اتت نسخة عني في كل شيء، حتى في عنادها وغضبها السريع الذي اكتشفته من بكائها السريع.

قررت اليوم ان أزور بيت والدا فؤاد، اردت أخيرا بعدما أدركت انني أصبحت امرأة قوية، ان أفصح عن خطئي، فهو لن ينقص مني شيئا بل سيرجع والدة الطفلة الذي اعلم ومتيقنة انه سياتي ركضا على الاقدام حيثما هو حتى وان كابر ولم يأبى ان ينحني، فهو فؤاد في النهاية. اردتهم ان يتواصلوا معه باي طريقة وسأفعل كل ما يطلبه مني، كبيرا ام صغيرا كان.

عندما وصلت، طرقت الباب بخجل وقلق، بينما كنت احمل نور بيدي الأخرى، التقطت صوتا مألوفا لدي، صوت رقية.

-هذه انا ... زينب.

فُتِحَ الباب وأطلت رقية منه، وكم تفاجأت بعدما رأتني انا وبيدي تلك الصغيرة التي كنت اضمها الى صدري في فراشها ذاك وكأنني اريد ان اجعلها جزءا لا يتجزأ مني.

بادرت الحديث بثقة:

- أ يمكنني الدخول؟

ردت رقية بهدوء:

-تفضلي.

اتجهت بي نحو الصالون ولم تبقى معنا بل غادرت، بعد مدة اقبلت نحوي والدة فؤاد، كانت متعجبة هي أيضا. لكنها رحبت بي ترحيبا حارا معانقة اياي ومن ثم انتقلت الى تلك الصغيرة التي رفعتها من على الكنبة تقبلها بشغف وسعادة كبيرين، جلسنا واخذنا نتبادل أطراف الحديث حتى وصلنا الى طرف الخيط فتكلمت بسرعة:

-في الحقيقة يا امي، انا هنا من اجل موضوع فؤاد.

ابتسمت لي بابتسامتها الحانية تلك ثم وضعت كفيها على كفاي ثم اردفت:

-تحدثي يا ابنتي، قولي ما يشغل بالك.

-في الحقيقة ... أ يمكنك التواصل مع فؤاد، اريد الحديث معه.

-لا اعتقد انه بإمكاني الان اظنه مشغولا.

-ارجوك يا امي، احتاجه بسرعة في موضوع مهم، ارجوك يا امي حاولي الاتصال به.

ابتسمت لي بحنان لا يخلو من شفقة ثم ردت:

-حسنا حبيبتي، سأتصل.

عم هدوء مريب المكان عدا صوت حفيف الأشجار القوي بالخارج، يتبعه صوت رنين هاتف امي وهي تحاول الاتصال بفؤاد، حتى قاطع هذا الهدوء المحبط، صوت نشر البهجة في أعماق نفسي وأحيا ابتسامتي على فاهي مجددا، اجل انها نبرته التي لا زالت راسخة في اذناي الى الان، وكم اشتقتها !؟

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام، أخيرا! اين كنت يا هذا؟

-اعتذر، كنت مشغولا.

-لا باس صغيري، لكن هناك ضيف يريد الحديث معك باستعجال.

-من؟

-زينب يا بني، انها تريد الحديث معك في موضوع مهم.

-صمت حل بالمكان برهة ثم سمعته يرد:

-انا مشغول وليس لدي وقت لأضيعه.

صُعِقتُ من رده القارص هذا، صدقا! لم اتوقعه، نظرت لي والدته بقلق بعدما لاحظت انزعاجي ثم بقيت تحاول معه مرارا وتكرارا حتى سمعته يرد بهمجية:

-وأي وجه هذا الذي لديها لتاتي مجددا وتريد مقابلتي به !؟

-هيا يا بني، تحدث معها ارجوك.

-وقتما اشاء انا وليس هي، سأغلق الخط.

نظرنا انا وامي لبعضنا البعض، وانا منذ البداية اخبرتها ان لا تحدثه بموضوع نور ابدا، فقد تسللت بعض الشكوك التي نفيتها الان من ذهني، لم أشأ ان ازيد الأوضاع سوءا، لذلك اخذت نور هممت بالمغادرة.

وفي طريقي نحو المنزل، تلقيت مكالمة من طبيبتي الخاصة تعجلني على القدوم حالا الى المستشفى، ولم يكن بوسعي الا ان افعلها.

وفي المستشفى استقبلتني الطبيبة في مكتبها، وبعدما كتفت يداها ونظرت الي مطولا انا التي كنت ابادلها بثقة كبيرة واستنتجت بسهولة انها تخفي شيئا عني:

اريد ان اخبرك شيئا لكنني لا اريد منك ان تقلقي.

رددت بابتسامة مصطنعة:

نعم، كلي اذان صاغية لك يا دكتورة.

في الحقيقة، ظهرت في تحاليلك الطبية الأخيرة وكذا الاشعاعات التي قمت بها مؤخرا اصابتك بسرطان في الدم، لذا ... من اللازم عليم متابعة العلاج دون تهاون، فلربما يمكننا فعل شيء لإنقاذك.

أ هذا كل شيء؟

ناظرتني الطبيبة بتعجب ثم ردت علي:

اريد الحديث مع اقاربك من فضلك.

ليس لدي أحد عدا جدتي وهي كبيرة في السن علاوة على ان حالتها اسوء من حالتي لذا من فضلك يا دكتورة، اريد منك إبقاء هذا الامر سرا بيننا، ولا تقلقي سأباشر العلاج في أقرب وقت.

ودار بيننا حوار طويل، ناظرت من بعدها نور التي وضعتها في فراشها على الكنبة، ابتسمت لها بضعف ثم اخذتها وهممت بالمغادرة.

بعد يومان اتصلت بي والدة فؤاد تخبرني فيها ان فؤاد سيكون هنا في البلد بعد يومان او 3 أيام.

عندما يعود تعالي لتناول العشاء معنا.

شكرا لكي، لكنني مشغولة ولكنني سأحرص على ان-
.ازوركم بعدما يرتاح من رحلته

.كما تريدين-

شكرا لك مع السلامة. -مع السلامة، اعتني بنفسك-
.وبحفيدتي الصغيرة

أغلقت الخط وبقيت شاردة في سرير الصغيرة الذي ركنته اما سريري، أ حقا هذه هي نهايتي؟، ماذا ان مت قبل ان استيقظ غدا؟، او حتى ان اعتذر من ذاك المكابر على تحطيمي لحياتنا دون سبب يذكر، ماذا ان غادرت بعيدا وتركت صغيرتي وحيدة، يتيمة دون أمها، بل ماذا سيحدث ان تركتهما معا؟. جالت في راسي كل هذه راسي كل هذه الكلمات والأفكار الغريبة التي عادت تنهش داخلي، حتى شعرت بألم شديد في راسي فاستسلمت للنوم بعدما تذكرت .أنى سأباشر العلاج غدا باكرا

## بعد 5 أيام

قبل 3 أيام من اليوم، وصل فؤاد الى البلاد ولم أرد ازعاجهم بزياراتي المتكررة، لكنني قررت ان اذهب اليوم بعدما اتصلت بي والدته بالأمس تخبرني انها اعلمته بخصوص موضوع نور، وانه غاضب جدا لا خفائي الامر .عنه

بعدما وصلت الى ذاك البيت وجدت امي ووالده، رقية وحسام، وكذا أطفالهم، ألقيت التحية بثقة فرحبوا بي وأدخلوني الى الصالون. بقينا نتناول مواضيع عدة حتى دخل فؤاد وفجأة، رفعت راسي اناظره لكنه لم يكن ينظر الي كما كان ينظر الي من قبل، شعرت باسو الم على الاطلاق.

أسرع بخطواته بجانبي حاملا تلك الصغيرة بين يديه يعانقها في تلك الأجواء المؤثرة ويقبلها، يداعبها وكأنه لم ير رضيعا من قبل.

ابتعد بعدها وتكفلت انا مهمة جعلها تنام بينما هو سحب أحد الكراسي البعيدة عني وجلس يناظرني ببرود شديد، بتجاهل، اما انا فلم ارفع راسي نحوه فبعد كل شيء، هذا حدث بسببي وانا استحق.

بعد صمت طويل، استفتح فؤاد الحديث بقسوة:

ما الذي تريدينه؟-

ركز الجميع بأعينهم نحوي فشعرت بالدماء وهي تتصاعد الى وجنتاي ولم يكن لي رد، ابتسمت بعدها بحماقة وسخرية، ليس لأنني حمقاء، بل انا في موقف لا أُحسَدُ عليه.

انقذتني والدته بردها:

يمكنكما الحديث على انفراد إذا اردتما.-

نظرت لها بشكر بمعنى موافقة لكن فؤاد اتبع:

لن اعطي الرخيص أكثر مما يستحقه ... انا يأخذ ابنتي ولو- قلبت الدنيا راسا على عقب، اما انت ... فلا شان لي بك!

رد والده زاجرا إياه بحدة:

كفى! ساويا الامر بينكما وبسرعة، وأيضا يا أستاذ،- الصغيرة لا يمكنها العيش من دون أمها، كما انت والدها هي والدتها أيضا ولن اسمح لك بان تفرق بينهما ابدا!

ردت امي ملطفة الاجواء:

.هيا يا بني، ارجوك-

لمحته وهو ينظر الي بنظرات منزعجة ثم استقام من مكانه .بينما هم بقوا يشيرون الي بان اتبعه، فهرولت لاحقة إياه

## في مكان اخر

وقف هو يطل من الشرفة المغلقة وانا خلفه اتلاعب .بأصابعي مخفضة راسي، ليس ضعفا، بل قلقا

:استدار الي يناظرني بنظراته الثاقبة حتى تكلم أخيرا

.ماذا تريدين؟، أ تجردت من كل ما لديك لتتصلي بي مجددا-

:رفعت راسي بكبرياء وناظرته بثقة لم تخلو من رجاء

... ارجوك، لا تتكلم معي بهذه الطريقة انا فقط-

فقط ماذا؟ ماذا؟ دمرت حياتنا من دون سبب، أ ندامتك تأتي- بعد ان تشعري بالملل من بقائك وحيدة؟ او بعد ان تفقدي كل شيء؟

:رددت بثقة-

.ليس كذلك-

!إذا ماذا يا سيدتي؟ تحدثي ولا تبقي واقفة هكذا كالبلهاء-

:استجمعت قوتي ثم رددت بنفس النبرة قوة

حقا انا اعتذر عما بدر مني، لم أكن على يقين بما افعله،- كنت مجرد فتاة حاول ترميم شظايا انكسارها بخراج كل قواها السلبية في الاخرين، كنت اتصرف بأنانية واعلم كم ظلمتك، وانا الان لست زينب القديمة، لست اريد منك شيئا

سوى ان تسامحني، إذا لك يكن من أجلى فمن اجل نور الصغيرة، فانا لست قادرة على المغادرة بعيدا وانا احمل هذا الثقل معي، لن اقوى على المغادرة وابنتي ليست في حمايتك انت.

أكملت وانا أحاول كبح دموعي بينما لاحظت ان الفضول بدا ينهش تفكير فؤاد بعدما رد:

تغادرين الى اين؟... -

رددت بابتسامة:

لست مغادرة الى أي مكان حاليا، حتى تسامحني واثق ان- ابنتي تحت قبضة حمايتك، ولا أدرى متى؟

رد بهمجية أكثر:

لا تتحدثي بغموض، ردي على قدر السؤال.-

لا شيء يذكر، فقط ارجوك فانا لا اريد ان تبقى ابنتي- وحيدة بعد الان، انا اصارع نفسي من اجل ان أبقي مدة أطول، ارجوك، لا اريد ان انتهي وانا وحيدة.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

لا أنكر ان قلبي كاد يحلق بعيدا كفراشة حرة بعدما اعتذرت بالطريقة التي ارضت بها غروري وكبريائي، بالطريقة التي اتفهم منها انها تريد العودة الى المنزل او بالأخرى عودتنا معا مع ابنتنا. لكن، في نفس الوقت استشعر غرابة شديدة فيها، تفكيرها، كلامها، ملابسها، وضعية حراكها، حتى قوتها وطريقة كلامها الجديدة، لقد تغيرت حبيبتي كثيرا وحتى انني لاحظت انها أصبحت شاحبة جدا مجددا، أحس
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

انها متعبة وأنها لن تستطيع الوقوف أكثر، لا اعلم لماذا! لكن هناك شيء حتما.

اعترف لكم ان كل العبارات السامة التي قطعت قلبها من قبل لم أكن اقولها من قلبي بل كنت مرغما لا تظاهر انني لا اريدها، هي كعالم الفضاء تجعلني تائها بلا جاذبية.

رددت أحاول إخفاء بهجتي:

وماذا ان عدت الى نفس تصرفاتك الطائشة معي مجددا؟-

بقيت اناظر عيناها الجميلتان الذابلتان وفي نفس الوقت كان سيل مشاعري الدافئة نحوها قد عاد يُقْرَأُ في عيناي فردت هي بابتسامة واسعة، صادقة:

صدقني، لن اعيدها ابدا، اعدك بهذا.-

اخفضت راسها وقد بدأت دموعها تنهمر على وجنتيها، فلم يكن علي الا ان اضعُفَ امام ضعفها كالعادة ولم أجد نفسي الا وانا اواسيها.

رفعت كفي وربتت على راسها بحنان بينما ضممتها الى صدري بقوة وكأنني لن افلتها ابدا مجددا، فرفعت راسها الى اتلمس لحيتها بسبابتي فابتسمت لها بحنية وكأنني أُشعِرها بالأمان من جديد، الأمان الذي افتقدته طيلة هذه الأشهر وهي تصارع وحدتها فرددت:

ستعودين الى المنزل معي اليوم.-

ارخت ملامحها وابتسمت لي بإشراق فأشرقت معها مشاعري مجددا، تلك المشاعر التي لا اعرفها الا معها، ضمتني بعدها غارسة وجهها في صدري ففعلت المثل اهدئها وازيل عنها مخاوفها فما مر عبلى كلينا ليس بالهين.

**بعد شهران**

**استيقظت اليوم باكرا فوجدت حبيبتي زنوبتي نائمة، قمت بروتيني الاعتيادي وبعدما خرجت من حمام الغرفة ارتديت ملابسي وأقبلت بخفة نحو نور الصغيرة، صغيرتي الحبيبة، وكيف لا تكون حبيبتي وهي ابنة أمها وكذا نسخة عنها؟**

**قبلت الصغيرة بخفة اتلمس وجنتاها الناعمتان، ابتعدت بسرعة خشية ايقاظها فلا اكذب حين أقول انها مشاكسة وعنيدة جدا، إذا استيقظت فستسبب كارثة بصوت بكائها ذاك.**

**اقبلت بعدها نحو زنوبتي ولا اعلم ما سبب مشاعري الغريبة اليوم. جلست على حافة السرير، اخفضت براسي نحو جبينها اقبله بحنية وعدت الى نفس ووضعية جلوسي أتأملها وتارة أخرى اقبلها واداعبها على الرغم من انها نائمة، بقيت على نفس الحركات لأكثر من نصف ساعة، وكأنني لن اراها مجددا، أحس اليوم بالذات انني أفقدها وافتقد نبرة صوتها ومشاكساتها الأخيرة معي، أحس انني اريد البقاء هنا بجانبها الى الابد على الرغم من شعوري أنى استفقدها الى الابد.**

**رن هاتفي فكان حسام هو المتصل من الشركة يخبرني ان هناك عملا مهما جدا. بعدما قطعت الاتصال تأملتها وقبلتها أخيرا وبداخلي مشاعر من الخوف والقلق الذي لا أستطيع تفسيره. خرجت من الغرفة فتركت كلاهما نائما في عالم أحلامه.**

## بعد 5 ساعات تقريبا

**ردت بعدما رن هاتفي:**

السلام عليكم، نعم يا خالة، هل تحتاجون شيئا؟-

ردت الخادمة باكية:

ارجوك يا سيدي، أسرع، الانسة زينب في المستشفى- والطبيبة تقول انها بخطر شديد ... لم أستطع التحكم في انور!

ماذا؟ كيف؟ ماذا حدث لها؟ اين أنتم انا قادم.-

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

الأجواء كانت متوترة جدا، خصوصا بعد حضور والداي وجدها وجدتها تتبعهما رقية وحسام، انا لن اكذب، خرت قواي بعدما اخبرتني الطبيبة ان زينب كانت تعاني من سرطان دم وان الدواء لم يأخذ مفعوله فيها. الخوف والقلق ينهشانني ولا اعلم ماذا سأفعل!

بعد مدة خرج الطبيب من غرفة العمليات فهرولنا نحوه بسرعة.

استرسلت بنبرة يعلوها القلق الشديد:

ماذا يحدث مع زوجتي، هل هي بخير؟-

رد الطبيب بهدوء واسف:

للأسف يا سيدي، انها تحتضر.-

ناظرت الطبيب بمشاعر لم اعرفهما من قبل واندفعت نحو الداخل حيث كانت زينب مستلقية. اقتربت منها ودموعي اخذت مجراها على وجنتاي، تلمست وجهها الذي كان يتجمد بردا بيدي الدافئتان فاستدارت تناظرني بضعف،
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

رفعت كفها ووضعتها على وجهي تبتسم لي بضعف وحنان ثم استرسلت:

قولي يا حبيبتي، اشهد ان لا إله الا الله، وان محمدا رسول- الله.

أموات لي براسها بخفة ثم بقيت تتمتم بها فعادت تتأملني مجددا انا الذي كنت غارقا في بكائي، لم تستطع حتى ان تخرج كلمة من فاهها سوى انها تمسد بضعف على وجهي.

ارتخى جسدها فجأة وبدأت أصوات الأجهزة المعلقة حولها تصدر صوتا قويا يزداد توترا في اذني. فدخل الطبيب بسرعة يتفحصها للمرة الأخيرة فاسترسل:

انا لله وانا اليه راجعون، لقد فقدنا المريضة-.

انهرت بعدها باكيا كليا وكل ما اسمعه حولي هو أصوات النحيب والبكاء، كان ابي وأخي يحاولان كبحي لكن لا جدوى ... حتى وان هدأت خارجيا، فلن تسكين زوبعة الحزن التي تحطم وتهدم كل شيء بداخلي. ولولا تلك الصغيرة التي ابقتها لي امانة، لكنت...!

## بعد سنوات

أقف انا ونور امام قبر حبيبتي الأولى والأخيرة، زوجتي الراحلة، اناظر نور بتفحص فكم تشبهها هي !؟، عيناها، بشرتها، شعرها، حجابها ولفة خمارها، حجمها، عقليتها، طريقة كلامها، عنادها وطفوليتها على الرغم من بلوغها ال 18 سنة:

اه يا نور الصغيرة، كم تشبهين والدتك، لو انها كانت هنا- الان لكانت تغيظني الان بانك تميلين أكثر اليها مني

انت وسيم جدا يا ابي , لا بد ان امي كانت تحبك مثلما-
! احبك انا

. اجل يا حبيبتي-

ابتسمت لها فضحكت بنفس نبرة صوت والدتها ثم جلست بجانبي على الأرض تحضنني وتستمد امانها مني. فعلى الرغم من وفاة والدتها وهي بعمر صغيرة جدا الا انني حرصت على منحها كل المشاعر التي تحتاجها بعفوية كي لا تشعر بأي فراغ بداخلها وكما كانت زينوبتي تامرني بهذا، اجل، كانت تلمح انها ستغادر باكرا، لكنني انا !الغافل

قبلت جبين الصغيرة وهي تبتسم لي ثم قرانا من بعدها .سورة الفاتحة ندعو لها بالرحمة والمغفرة

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

ذهبت زينوبتي اميرة زماني مني بعيدا، ويا ليت لو انه كان لي عقل يفكر مثل مشاعري بجوارها في المرة الأخيرة، لو ان حسام لم يتصل بي، لبقيت بجانبها، ولم أكن اتركها لتغادر بعيدا ولكانت الان بخير، لكن فات الأوان الان!، وكذا انظروا الى تعاقب الأدوار، حبيبتي ابتدأت برواية قصتها ولكنها عادت من حيث أتت، اخذ الله امانته، وانا انهيت روايتها. ويا ليت يا اميرتي لو يجمعنا القدر مجددا، سأجعلك اميرة حقيقية، ولن اذهب مجددا واتركك نائمة حتى لا تضيعي لوحدك مجددا!

# تَمَتْ بِحمَدِ اللهِ -النِّهَايَةُ-
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

# إهداء

إلى فتاة , لم تكن يوما إلا نفسها , إلى فتاة لم تدعي الصلابة بل كانت القوة بنفسها ,إلى ماسة صلبة تدرك قيمتها و أنها لن تتحطم رغم خدوشها , إلى فتاة لم تستسلم مهما كانت درجة الصعاب التي كانت و ما زالت تذوقها , إلى فتاة تحب مظهرها و لا تنتظر من أحد ان ينجذب إليها, إلى فتاة تدرك أن لا أحد يستحقها , إلى فتاة لا تقول نعم لشيْ لا توده و لا ترفض شيئا تريده , إلى فتاة لا يتزعزع رأيها فيما تفعله , إلى فتاة يستهويها حب الشخصيات الخيالية الى مهووسة كتبٍ .هذه أنا وهذا جزء , مني

**!**أنا ممتنة لنفسي